الأمير السيّد جمالُ الدّين عبد الله التنوخي (-٩١٤٧٩ه.)

«حياته، وآثاره وجهوده في التقارب المذهبي»

jamaleddine updated 26 june 23.indd 1 7/13/2023 11:05:41 AM

ألحان فرحات

الأمير السيّد جمالُ الدّين
عبد الله التنوخي (-١٤٧٩هـ.)

«حياته، وآثاره وجهوده في التقارب المذهبي»

سائر المشرق

jamaleddine updated 26 june 23.indd 3 7/13/2023 11:05:41 AM

الطبعة الأولى
٢٠٢٣

©دار سائر المشرق

جديدة المتن–نهر الموت
رقم الهاتف والفاكس:
+961/1/900624
+961/70/808484
+971/52/5719567

info@entire-east.com
www.entire-east.com

تصميم الغلاف: ليال بو هدير

ISBN: 978-614-451-342-2

jamaleddine updated 26 june 23.indd 4 7/13/2023 11:05:42 AM

الإهداء

إلى الغائب الحاضر المغفور له بإذن الله حياة الراحل الشيخ دانيل عبد الخالق...

أهدي هذا المؤلَّف إلى شيخ الشجاعة، العامل بوصيّة إمامه، الحكمة القائلة: «**الموحّد الديّان بتوحيد مولاه شُجاع غير جبان**»...

أهديه إلى الثائر الصادق، إلى الباحث، المثقّف العنيد والفقيه المتنوّر بنور التوحيد...

إلى روح الأخ الخلوق والصديق الصدوق، الموحّد المؤمن بالله تعالى وأنبيائه ورُسُله عليهم السلام جميعًا، الملتزم تعاليم الأمير السيّد عبد الله التنوخي (ق.) والسائر على نهج الشيخ الفاضل محمد أبي هلال (ر.)

jamaleddine updated 26 june 23.indd 5 7/13/2023 11:05:42 AM

إلى روحه اللّطيفة أهدي هذا الكتاب، وهذه الصفحات المتواضعة كتحيّةٍ لنضاله الفكريّ، واعتداله الدّيني، وانطلاقته الوطنيّة نحو الإنسانيّة اللبنانيّة منها والعالميّة.

رحم الله روحًا جميلةً صبرت على امتحانٍ زمنيٍّ صعبٍ، عاشت في سبيل الإنسان، عملت بالعلم والبيان، وعبرت بإذنه تعالى إلى جنان الرحمن.

ألحان فرحات

jamaleddine updated 26 june 23.indd 6 7/13/2023 11:05:42 AM

المقدمة

أ. أهميّة الموضوع وأسباب اختياره

في هذا البحث مهمّتان ليستا بسهلتين. الأولى تكمن في سبرِ غور مآثر وشروحات وسيرة وليّ لبناني مسلم موحِّد، فُقدت الكثير من كتاباته وشروحاته الدينيّة لأركان الإسلام في مختلف مسالكه، ومن بينها مسلك التوحيد على وجه الخصوص. كما خفي أكثر مما فُقد. وتلك معضلة واجهت هذا البحث، ولم تكن بالشيء السهل أبدًا. أمّا المهمة الثانية فكانت التعامل مع معضلة العصر في الأمّة الإسلامية ألا وهي التقارب المذهبي، وخاصة بعد ما شاهدناه في العقدين الأخيرين لمدى قتامة المشهد بين المذاهب الإسلامية، خاصة بين السنّة والشيعة؛ بحيث يقع بينهما انشقاق واضح وصريح على مستوى الفِقه والتفسيرات، حتى لو تمّ الاتفاق على الأركان الأساسيّة للإسلام. وهنا تكمن أهميّة هذا البحث، بحيث ستتكشف الحُجب عن الدّور الذي قام به **الأمير السيّد جمال الدين عبد الله التنوخي** في عملية التقارب المذهبي، وذلك من خلال اعتماد نهج حياة، ومسلك عيش إسلامي حقيقي، ميّزه في عصره، وقد حمل تميّزه عبر العصور كما سيتبيّن لنا من خلال هذه الدراسة. فهل ستؤدي هذه الدراسة المقتضبة، رسالتها تُجاه المهمّتين الأساسيّتين اللتين تحدثنا عنهما؟!

jamaleddine updated 26 june 23.indd 7 7/13/2023 11:05:42 AM

ب. مدى قابليّة الموضوع للبحث؟

إنّ تناول موضوع التقارب المذهبي الذي يشغلُ بال الباحثين والدارسين في هذا الزمان، والساعين لتقريب وجهات النظر بين المذاهب الإسلامية، كما التقليل من حدّة الخلاف فيما بينها، وبالأخصّ بين السّنة والشيعة، يحمِّل هذه الدراسة مسؤوليّة كبيرة، وأمانة اجتماعية ضخمة، وذلك مقياسًا بمدى النّفع الّذي ستعود به على المجتمع، وخاصة بعد حروب التكفير بين المذاهب التي تأجّجت بعد أحداث سوريا والتي انطلقت منذ عام ٢٠١١؛ كما وأنّ شخصيّة الأمير السيّد الغامضة بعض الشيء، التي تكتنفها شهرة واسعة بين الباحثين في الإسلام، أو الدارسين للتاريخ الدّيني في لبنان، إبّان حقبة سيطرة التنوخيين على جبل لبنان، وكذلك ضبابية علومه واختفاء جزء كبير من مآثره أو فقدانها، مما يجعل من هذا البحث مادة «دسمة» لأيّ قارئ يبحثُ في مسألةِ التقارب المذهبي من جهة، أو في وحدانية القرآن وعموميته على كافة الفرق الإسلامية، والتي أكّدها الأمير السيّد من جهة أخرى؛ الأمر الّذي سيرد في فصول البحث بشكل واضح وجليّ.

ج. إشكاليّة الدراسة:

وانطلاقًا ممّا ذُكر، لم يتبقَ للبحث إلّا مسألة طرح الإشكاليّة الرئيسيّة بعد تحديد العنوان، وذلك للخروج باستنتاج علمي منطقي يخدم الغاية المرجوّة من إعداده، حيث أنّ الإشكالية يجب أن لا تُخرِج الدراسة عن إطار التأكيد على دور الأمير السيّد في مسألة التقارب المذهبي، ومدى التزامه بأركان الإسلام، بالإضافة الى النهج الذي اتبعه في شرح آيات القرآن الكريم، واجتهاده لحثّ المذاهب

jamaleddine updated 26 june 23.indd 8 7/13/2023 11:05:42 AM

الإسلامية عامة، والموحدين خصوصًا أي (الفرقة التي كان ينتسب إليها) للالتزام الكامل بتطبيق أركان الإسلام.

إذًا، ما هي سيرة الأمير السيّد عبد الله التنوخي وتأثيرها على مجتمعه العام والخاص؟ وكيف اختبر عمليًا الإسلام في حياته التي قاربت حدود السبعين عامًا؟ كما ذكرت المراجع. وما هي تفسيراته لآيات الكتاب العزيز؟ وكيف خدمت مسألة التقارب المذهبي؟ هل كانت شروحاته عامة أو خاصة؟ هل انفرد السيّد بمسلك واحد من مذاهب الإسلام، أم أنّه كان يساوي فيما بينها؟

كلّ تلك أسئلة تشكِّل أعمدة البناء لهذا البحث، بحيث تتوضح لنا إشكاليّة مفادُها حياةِ الأمير السيّد العلميّة والعمليّة، ومدى ارتباطها في رسالة الإسلام الصحيحة، المبنيّة على أركانٍ واضحة ثابتة لا لبسَ فيها. وهل استطاع الأمير عبد الله التنوخي (ق.) أن يكون على مسافة واحدة من المسلمين بمختلف انتماءاتهم المذهبية، من خلال ما كتب وحلّل وشرح؟! ها هنا بالذات تتوضح العلاقة بين الأمير السيّد ومسألة التقارب المذهبي.

د. فروض الدراسة

هنا يطرح البحث هاجسه في التوصّل لفرضيّة مفادها: هل فعلًا تعاليم الأمير السيّد ومآثره أتت لتؤكِّد المؤكّد بأنّ لا فرق بين المذاهب في الإسلام؟ وهل فعلًا للأمير السيّد كتبٌ ودواوين مفقودة أو مخفيّة أم هو أمر من نسج الخيال؟ ما مدى ارتباط نهج حياته في عصره مع حداثة عصرنا اليوم؟ وهل يمكن لتعاليمه وتاريخ أحداث حياته أن يُحدِثا فرقًا في عالمنا اليوم؟

jamaleddine updated 26 june 23.indd 9 7/13/2023 11:05:42 AM

هـ.أهدافه وأهميته. وهل هو بحث جديد أم مكرّر؟

لا فائدة واحدة لهذا البحث بل فوائد عديدة. هي فوائدُ اجتماعية أكثر منها أكاديمية؛ فمجتمعاتنا العربيّة بشكلٍ عام ومجتمعنا اللّبناني التعدّدي بشكلٍ خاص، يُعاني من التفكّك والشرذمة، فيه الانقسامات عمودية، وعليه يأتي هذا البحث ليؤكد أهميّة التقارب بين المذاهب في الدين الإسلامي، وتسليط الضوء على شخصيّة دينيّة اجتماعية، تعاطى معها التاريخ باحترام واهتمام، هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى تكمُن أهميّة هذا البحث في الإضاءة على تعاليم رجل دين لُقِّب بوليّ من لُبنان، حيث قيل الكثير عن علومه، كما اعتبر أنّ فيه سرًّا من الأسرار التي يودعها الخالق سبحانَه في خلقه، والمستغرب المستهجن أن طائفة المسلمين الموحّدين التي تضع الأمير السيد في منزلة دينيّة عاليّة، وبقسم كبير منها (عنيت بهم الزمنيين غير رجال الدين) يكنّون الاحترام للأمير السيّد، يتغنون بسيرته، ويلتزمون تعاليمه المنقولة إليهم من ثقات المشايخ، دون أدنى بحث منهجي أو قراءة صحيحة في كتبه ومخطوطاته، تلك التي تتضمن شروحاته لدين الإسلام بشكل عام، ولمسلكهم بشكل خاص، هذا في حال توفّرت تلك الكُتب لَهم. السؤال الذي يطرح نفسه ها هنا: كيف لجماعةٍ دينيّة أغلب أهليها من الزمنيين أن يتبعوا ويصدِّقوا فيؤمنوا برسالة الأمير السيّد، دونَ معاصرته أو قراءة مآثره كاملة لنُدرة ما وصلَ إليهم عنه قياسًا بما قدّمه وكتبه!؟ بل اقتصر على ما تواتر عبر الحديث، فيتمّ ذلك بالعقيدة الفِطرية لديهم فقط! والسؤال الّذي يطرح نفسه: ما نوع هذا الالتزام الفطري لديهم؟ وما مدى صحّته أو صوابيّته؟ وهل يخدم وجودَهم كأبناء للأمّة الإسلامية التي تجتمع تحت مظلّة الكتاب العزيز، وهُمْ في مسلكِهم المُبهم والغامض بالنّسبة لأنفسهم أولًا، قبلَ أن يكونَ ضبابيًّا غامضًّا بالنّسبة لبقيّة الأنام؟

jamaleddine updated 26 june 23.indd 10 7/13/2023 11:05:42 AM

و. هل يساهم البحث في حلّ مشكلة مُعاشة؟

خلال هذه البحوث والقراءات والمطالعات التي خدمت هذه الدراسة، والتي سترِد نتائِجُها تباعًا، سيتبيّن للقارئ، بأنّ شخصيّة الأمير السيّد عبد الله فريدةً من نوعها، لاسيما لقوّة الوعي الممنوح من لَدُن سماء العليّ العظيم لعبده، والقدرات العقليّة التي مكّنته من التميّز بما يقرب المستحيل؛ كحفظ آيات الكتاب العزيز عن ظهر قلب (بما معناه ليس بالطريقة العادية بل بالطريقة العكسية أيضًا على سبيل المثال لا الحصر) أيّ أنّه كان باستطاعة الأمير السيّد تلاوة القرآن الكريم بطريقة عكسية من النهاية حتى البداية. وهذا الأمر مؤرّخ عنه ومثبت بالحُجة كما سنرى في متن البحث، وهذا ما كان إلّا للإيمان الصادق بالآيات الكريمة الذي يحمله الأمير السيّد في قلبه، كما تبحره في الكتاب العزيز بشكل عميق جدًا.

وبسبب ما كان يمتلك الأمير عبد الله من قُدرات عقليّة مثبتة ونهج إيماني إسلامي صادق، جعل منه محجّة للأنام في لبنان وسوريا وحتى فلسطين، كذلك بسبب انتشار مآثره ومواقفه التي تضع الحقّ فوق أيّ اعتبار، يمكن لهذا البحث أن يساهم بشكل كبير في حلّ مشكلة معاشة من خلال تقريب وجهات النظر بين المذاهب الإسلامية، من خلال التقارب الديني، في حال ما عولج من زاوية عِلم الأمير السيّد (ق.).

ز. المنهج البنيوي للدراسة

من أجل إتمام هذه الدراسة، اعتُمِدَت ثلاثة مناهج علميّة، أولها **المنهج الوثائقي**. وذلك من أجل البحث عن حقيقية الوثائق، ونوعيّة مضمونها، والتي تناولت بشكل جليّ جوهر فِقه الأمير السيّد، ونظرته للإسلام بشكل عام.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 11 7/13/2023 11:05:42 AM

بعد ذلك عَمد البحث إلى استخدام **المنهج الوصفي** بالإضافة إلى **المنهج التحليلي** في دراسة وقع، وأثر تعاليم الأمير السيّد على أتباعه والمريدين لمسلكه وتوصياته، لتبيان كيف خدمت تلك التعاليم مسألة التقارب الديني.

ح. صعوبات الدراسة

لقد واجَهَت هذا البحث تحديّات جمّة لجهة إتمامه، لا لشيء، بل لسبب شحّ المراجع حول موضوع الدراسة. فكتب الأمير السيّد الدينية التي تخصّ مسلك الموحّدين «بني معروف» والتي تُنسب إليه، هي كُتب بعيدةُ المنالِ عن أيّ باحثٍ ليس من أهل الدّين (أي غير ملتزم دينيًا)؛ بالتالي يصعب الوصول لمراجعَ أو مصادرَ أساسيّة كثيرة، إلّا أنّ بعض الباحثين والمؤرخين المهمّين عبر التاريخ، كانوا قد تناولوا شخصيّة الأمير السيّد جمال الدين عبد الله التنوخي، ومن خلال هذه المراجع القليلة استطعنا جمع ما توافر من مادة تلائم موضوع البحث، وتخدم رسالته.

ط. خطّة البحث

بعد تقديم هذا البحث، تمّت الإجابة عن تساؤلات المباحث الثلاثة:

- في المبحث الأول: درسَ البحث في تفاصيل حياة الأمير السيّد عبد الله التنوخي قُدّس سرّه، موضحًا نسبه، متناولًا زواجه وحياة أولاده، والحقبة التي عاشها في سوريا مع زوجته وابنه الوحيد، حتى عودته إلى بلدته عبيه في لبنان، الكائنة في منطقة عُرفت باسم بلاد الغرب آنذاك، وصولًا إلى وفاته عن عمر ناهز السبعين عامًا.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 12 7/13/2023 11:05:42 AM

- في المبحث الثاني فقد تناول البحث مآثر الأمير السيّد ووضعه للقوانين والمبادئ الحياتيّة التي يجب اتباعها، كما سيقدّم البحث أيضًا لقصص ومسائل حقيقيّة واجهها الأمير السيّد مع تلاميذه، ومع أقرانه وضيوفه، جعلت من هذه الحكايات تعاليم تخدم موضوع البحث، بحيث يمكن الاعتماد عليها لتوضيح مسألة التقارب المذهبي من وجهة نظر الأمير السيّد، وطريقة عيشه وفق أسس واضحة تنصر الحقّ.
- أمّا المبحث الثالث فيتناول جهود الأمير السيّد في التقارب الديني بين المذاهب الإسلامية، من خلال كتاباته وشروحاته في محكمِ آيات الكتاب العزيز، حيث أتت جميعها لتساوي بين الأنام كما نصّ الإسلام تمامًا، حيث لا فرق بين عربي وأعجمي إلّا بالتقوى، وكانت حياة وسيرة وكتابات الأمير السيّد، تنطلق تمامًا وبشكلٍ كاملٍ من بابِ الورع والتقوى والإيمان الصحيح، والصّدق في القول والعمل، ونصرة الحقّ فوق أيّ اعتبار.

ي. الشكر والتقدير

«بالحمدِ تدوم النِعَم»... لله الحمدُ والشكرُ دومًا وأبدًا ما بقينا، إذ سخَّرَ لنا عقلًا واعيًّا بما يكفي كي نفكّر، نطمح، ونحلم، ثمّ لنعلَمَ أهميّة التعلُّم. فمنحنا التّسهيل والرّضى من عالي لَدنِه، كيما نمضي في مسيرة أكاديمية طويلة أوصلتنا إلى مرحلة دراسة الدكتوراه في العلوم الإسلاميّة، والتي أقلّ ما يقال فيها إنّها دراسة ستكون ولا شكّ، ركيزة وجوديّة في حياتنا العلميّة والعمليّة كما الاجتماعية أيضًا.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 13 7/13/2023 11:05:42 AM

فبعد شكر الله عزّ وجلّ، نتوجه بالشكر، للدكتور **علي دحروج** (رحمه الله) وهو الّذي كان السبب الرئيس لمتابعتنا دراسة الدكتوراه في «كليّة الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلاميّة. هو أستاذ محاضر في الجامعة اللبنانيّة، قد كان لي شرف معرفته خلال دراستي لاختصاص الفلسفة. كما أتوجه بالشّكر لإدارة الجامعة وعلى رأسها الأستاذ **جميل سعد** الذي كان له الدّور الأكبر في إتمام ملف دراسة الدكتوراه.

وأخيرًا وليس آخرًا، أتوجه بالشكر للدكتور **بسّام عبد الحميد**، وهو الدكتور الّذي اختار لنا هذا البحث بعنوان «**الأمير السيّد عبدالله التنوخي – حياته، آثاره وجهوده في التقارب المذهبي**»، وقد حمّلنا في اختياره لهذا الموضوع مسؤوليّة كبيرة، وأمانة اجتماعيّة أكاديميّة ليس فقط تُجاه الجامعة، والرسالة العِلميّة أو الحياة العَمليّة، بل أيضًا تُجاه طائفة الموحّدين الكريمة بشكلٍ خاص، والوطن بشكلٍ عام؛ ذلك لما للأمير السيّد (حامل لقب «**وليّ من لبنان**») من مآثر دينية وإنسانية مميّزة في بلاد الشام، ساهمت في ذاك الزّمان وما زالت حتى يومنا هذا، **بالتقارب المذهبي** بين فرق ومسالك الإسلام كافة، كما بين الأديان المختلفة.

ألحان فرحات

نيحا الشوف، آذار ٢٠٢٣

jamaleddine updated 26 june 23.indd 14 7/13/2023 11:05:42 AM

المبحث الأول

jamaleddine updated 26 june 23.indd 15 7/13/2023 11:05:42 AM

سيرة الأمير السيّد بين الهُويّة والتاريخ

ليس بالأمر السهل أن يكتُبَ باحثٌ جامعيّ في شخصيّة أميرٍ في الدّين قبل أن يكون أميرًا في إمارة الدنيا، حيثُ أنّ مكانته الاجتماعيّة الراقيّة ونسبه «الزمنيّ» العائلي المتجذّر عبر التاريخ، أعطياه لقب الأمير، لتكمن المشكلة في أنّ الكتب والمراجع التي تناولت الشخصيّة موضوع البحث، قليلة جدًا. وذلك لأنّ معظمها محجوب عن عامة النّاس، ويقبعُ في متناولِ أيدي رجالِ الدّين المسلمين عامةً، والموحّدين، أي بني معروف خاصة؛ ذلك لأسباب قد لا يفيد ذكرها موضوع البحث، إلّا أنّ مجرّد الإشارة إليها ضرورة ملحّة من أجل توصيف الواقع كما هو، وللدلالة أيضًا على صعوبة إعداد هذه الدراسة، وخاصة في موضوع التقارب المذهبي التي تُحتِّم على الباحث محاولة سبر كنه فلسفة الأمير السيّد عبد الله التنّوخي (قُدّس سرّه) وجواهر فكره وعلومه.

سيورد البحث في هذا المبحث سيرة الأمير بَدءًا من نسبه العائلي، وصولًا الى تفاصيل حياته، حتى تبوّئه أعلى المناصب الدينيّة في مذهب المسلمين الموحّدين، ألا وهو شيخ عقل الطائفة، وهو لما يتجاوز بعد الخمسة عشر سنة، كما سيرد لاحقًا؛ إضافةً إلى وقائع حقيقيّة حصلت معه في موطنه ومسقط رأسه عبيه، بالإضافة إلى توصيف مرحلة انتقاله للعيش في العاصمة السورية دمشق، وذلك

jamaleddine updated 26 june 23.indd 17 7/13/2023 11:05:42 AM

لمدة ناهزت الاثنتي عشرة سنة، مع سرد بعض الأحداث المهمّة التي واجهته هناك، والتي تخدم أهداف البحث بطبيعة الحال.

أولًا: حياته

هو الأمير جمال الدين عبد الله التنوخي. ابن علم الدين سليمان بن بدر الدين محمد بن صلاح الدين يوسف بن سعد الدين خضر بن نجم الدين، محمد بن جمال الدين، حجي بن زهر الدين كرامة، بن ناهض الدولة أبو العشائر بحتر، وهو مؤسّس البيت البُحتري التنوخيّ. بالتالي، هو من سلالة الأمراء البحتريين التنوخيّين الذين تسلّموا إمارة «الغرب»، والذين ينحدرون من سلالة الملوك المناذرة اللّخميين.[١]

إنّ ما وصلنا عن تاريخ ولادة الأمير جمال الدين عبد الله، فهو حسب ما جاء على لسان تلميذه سليمان بن حسين سليمان بن نصر، وعاد وذكره ابن سباط، على أنّ تاريخ ولادته كان في «٢٢ ربيع الأول لعام ٨٢٠ هـ أيّ ما يعادل ٩ أيار من عام ١٤١٧م.»[٢]

إلّا أنّ الباحث والمؤرخ الدكتور حسن البعيني كان قد نقض تاريخ ولادة الأمير جمال الدين المحدّد من قبل تلميذه سليمان بن نصر، حيث أورد في كتابه «مشيخة عقل الموحّدين» الصادر عام ٢٠١٥م، الآتي: «إلّا أنّ تاريخ تدوين وصيّته (الوقفيّة) يحمل على نقض التاريخ المتداول عن ولادته، ذلك أنّ تاريخ تدوين الوصيّة هو في ٢١ جمادى الآخرة سنة ٨٢٠ هـ، أي ما يوافق يوم ٥ آب لعام

١- حسن البعيني، **التنّوخيون والمناذرة واللخميون المعنيون** - الفصول الغامضة من تاريخهم والإشكاليّات، دار معن للنشر والتوزيع، ٢٠١٣، ١٢٤.
٢- سليمان بن نصر، **دُرّة التّاج وسلّم المعراج**، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت، ٢٠٠٥، ١٢. تاريخ ابن سباط، طرابلس، جروس برس، ط١، ١٩٩٣، ٢، ٨٧٨.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 18 7/13/2023 11:05:42 AM

١٤١٧م. وفي هذه الحال لا يعقل أن تُكتَب وصيّة الأمير وهو ابن ثلاثة أشهر. وتبعًا لذلك، يصبح تاريخ ولادة الأمير عبد الله في أواخر القرن الرابع عشر[٣]، أو في أوائل سنة ٨٠٢ هـ.

ولِدَ الأمير جمال الدين عبد الله التنّوخي في قرية عبيه – لبنان، في بيت يجمع الإمارة بالعلم والأدب. وقد باكَرَه اليُتم حيث توفي والده وهو صغير، فتولّت أمّه عائشة تربيته، وأحسنت أدبه وتهذيبه. لم يكتفِ بالعلم الذي قنع به ذووه، فأعلن رغبته بإصلاح بعض النواحي الدينيّة والاجتماعية[٤] في مجتمعه.

أمّا ولادة الأمير جمال الدين فتتفق عليها المراجع والمصادر كافة التي وقعت بين أيدينا، على أنّها كانت في بلدة «عبيه»، وهي بلدة في جرود جبل لبنان، وهي تحتضن حتى اليوم مزارًا فيه جثمانه الطاهر، بالإضافة إلى جثمان ولده **عبد الخالق** الذي توفّاه الله ليلة زواجه، حيث رفسه حصانه، كما هو متعارف عليه.

فمرقد الامير السيّد بمثابة مقام شريف، له مكانةٌ دينيّة رفيعة لدى طائفة المسلمين الموحّدين، المعروفين بلقب «بني معروف»، كذلك تؤكد المراجع كافة نشأته يتيم الأب منذ صغره.

قال الشيخ مالك الأشرفاني في كتابه «عمدة العارفين في قصص النبيين»: «...ونشأ الأمير جمال الدين عبد الله منشأ حسنًا، يتيمًا فقيرًا. ساد على أهل منطقة الغرب علمًا وعملًا، صغيرًا وكبيرًا. حصل له في دينه من المضادة والعناد ما يحصل للأفراد، كما جاء في

٣– حسن البعيني، مشيخة عقل الموحّدين في لبنان وسوريا وفلسطين، تاريخها وتطوّرها من الأعراف إلى التنظيم، دار معن، ٢٠١٥، ٤٧.
٤– سعيد الصغيِّر، بنو معروف في التاريخ، القريّة، سوريا، منشورات مطابع زين الدين، ١٣٨.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 19 7/13/2023 11:05:42 AM

الحديث النبوي} أشدُّ الناسِ بلاءً: الأنبياء، ثمّ الأولياء، ثمّ الأمثل فالأمثل. يُمتحن المرء على قدر دينه.»[٥]

فيما خصّ تنوّع علومه وتعددها، يورد الدكتور البعيني ما يلي: «إنّ الأمير عبد الله أتمّ حفظ الكتاب المكرّم في الخامسة عشرة من عمره، ودرس كتب اللّغة، والقاموس والنحو والمنطق والفلسفة والفقه على المذاهب، ورسائل إخوان الصفاء، وسِيَر الأنبياء، وأخبار الملوك، والتواريخ، ودواوين الشعراء، ومؤلّفات الحديث. ونسخ الكتب. وألّف في التفاسير والشروحات والمواعظ والإرشاد واللّغة، وترك معجمًا اسمه سفينة اللّغة.»[٦]

تزوّج الأمير عبد الله من ابنة خاله، الأميرة عائشة التنّوخية، ورزقه الله منها صبيين وابنة توفّوا جميعهم صغارًا، ثمّ رزقه الله صبيًّا سمّاه على اسم ابنه المتوفي عبد الخالق. والذي عاش ثمانية عشر عامًا وتوفيّ أيضًا وذلك يوم زواجه. لكنّ الأمير لم يجزع لحكم الله بفضل إيمانه، وترك المدعوين إلى العرس حتى يكملوا طعامهم، ثمّ أبلغهم بموت ولده الوحيد، .. فضجّ الجمعُ بالبكاءِ والعويلِ وخرجَ بِهم الأمرُ إلى الاعتراض وعدم الرضى بقضاء الله تعالى، فقام فيهم واعظًا وأنشأ خُطبته المشهورة التي تدعو إلى عدم الجَزعِ والتمسكِ بفريضتي الرضى والتسليم، فأصبح مضرب مثل بالصبر والإيمان.[٧]

٥- يوسف ابراهيم يزبك، وليّ من لبنان سيرة العارف بالله، يطلب من معرض الشوف الدائم للكتاب، ط ٤، ٢٠٠٤، ٣.

٦- حسن البعيني، مشيخة عقل الموحّدين في لبنان وسوريا وفلسطين، تاريخها وتطوّرها من الأعراف إلى التنظيم، دار معن، ٢٠١٥، ٤٩.

٧- المصدر نفسه، ٤٩.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 20 7/13/2023 11:05:43 AM

وحسب ما ذكرته المصادر التي جُمعت خدمةً لهذا البحث عن الأمير جمال الدين، فقد أجمعت بأنّ الأمير كان قد غادر من لبنان إلى سوريا وله من العمر أربعون سنة برفقة زوجته وولده الوحيد، وذلك تفاديًا للتصادم مع رجال الدين وأبناء جلدته، بعد أن عَمَدَ إلى تقديم تفسيرات واجتهادات دينيّة لم تَرُق لأمراء منطقة الغرب في جبل لبنان آنذاك، مما دفعهم للوقوف ضدّه، وتأليب الرأي العام عليه.

وقد ذكر الشيخ الأشرفاني حول رحيل العارف بالله إلى دمشق، بأنّ الأمير جمال الدين أقام في الشاغور الجوّاني في الشام نحو اثنتي عشرة سنة، وكان له من المحبّين والمُريدين الكثير، فرحلَ معه من رحل، وزاره فيها كثير من المحبّين.[٨]

أمضى فترة طويلة في منطقة الشاغور الجوّاني إلى ما يقارب اثنتي عشر سنة، قضاها بالدراسة ومجالسة العلماء والتبحّر بالعلوم، فاشتهر فيها برجاحة العقل، وغزارة العلم، ونباهة الفكر، وزيادة التقوى والصلاح وسلامة المسلك. فأطلق عليه علماء دمشق لقب السيّد، اعترافًا بسيادته على غيره، وتفوقه على أهل زمانه. فكان حجّة بالدين لتبحره بكتاب الله والأحاديث والفقه والشريعة الإسلاميّة.[٩]

وبعد أنّ ذاع صيته في سوريا، وانتشر ذكره، عبر تفوّقه بعلومه وأفكاره على شيوخ ذلك الزمان، أدرك حينئذ «بنو معروف» في جبل لبنان، قيمة الأمير جمال الدين، وحاجتهم إليه، فذهبوا إليه طالبين عودته إلى بلده وبلدته عبيه كي يستفيدوا من علومه ورجاحة عقله.

٨- يوسف ابراهيم يزبك، وليّ من لبنان سيرة العارف بالله، ٦١.
٩- سعيد الصغيَّر، بنو معروف في التاريخ، القريّة، سوريا، منشورات مطابع زين الدين، د.ت.، ١٣٩.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 21 7/13/2023 11:05:43 AM

فعاد إليهم شيخًا جليلًا تقيًّا. وبالرّغم من امتلاكه لأراضٍ وأملاك بحكم أنّه سليل الأمراء، أكدت المراجع على سلوك الأمير عبد الله مسلك التقشف والورع، وابتعاده عن حياة الترف والبهرجة.

يقول ابن سباط: «كان يطوف البلاد ويزور الأجاويد. ويأمر بقراءة القرآن. وكان يحفظه ويتلوه غيبًا. ونهى عن تعاطي المُسْكِرات، عملًا بتعاليم مذهب التوحيد الذي يمنع شرب الخمر، قليله وكثيره. كما نهى عن صنعه والإتجار به، حتى أنّه منع بيع الزبيب إلى مصر لئلّا يصنعوه خمرًا.»[١٠]

ومن المعلومات المهمّة التي وردت عن الأمير جمال الدين وتناقلها ثقات الناس، هي أنّ الأمير جمال الدين كان يخصّص يوم الجمعة لاستقبال تلامذته، وضيوفه، وطلّاب العلم الذين كانوا يقصدونه للاستفادة من علومه. فأطلق عليه الناس لقب «معلّم الخير». وله مؤلفات ثلاثة، أكد نسبها إليه أشهر الباحثين والمؤرّخين هي: «سياسة الأخيار، وكمالات النبيّ المختار، ومعجم اللغة».

توفيّ الأمير السيّد جمال الدين عبد الله التنّوخي (ق.) يوم السبت ١٧ جمادى الآخرة سنة ٨٨٤ هـ، ما يقابله ١٤٧٩م. فاجتمع يوم مأتمه ودفنه، خلقٌ كثير من جميع المناطق، قُدّر عددهم بسبعة آلاف رجل وقتذاك؛ ولمّا كانت العادة تقضي بتقديم الطعام للمشاركين في المآتم، فقد بلغ ما أنفق في ذلك اليوم طنًّا ونصف الطن من اللّحم، ومئتين وأربعين مدًّا من الدقيق.[١١]

١٠– سعيد الصغيَّر، بنو معروف في التاريخ، القريّة، سوريا، منشورات مطابع زين الدين، د.ت.، ١٤٠.

١١– المصدر نفسه، ١٤١.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 22 7/13/2023 11:05:43 AM

ثانيًا، أثره ومآثره

من خلال البحث في المصادر والمراجع التي تناولت سيرة الأمير السيّد ومآثره (قدّس سرّه)، كان لا بُدّ من الإشارة إلى أنّها جميعًا اتّفقت على خصاله السامية، ونهجه التوحيدي السليم، وعبادته الصافية من كلّ شرك. فيستشفّ الباحِثُ بأنّه كان للأمير السيّد جمال الدين رقّة، وتهذيب من غير مهذِّب ومؤدّب، وكان له كرمٌ وحميةٌ وشجاعة، وأنفة وبراعة، وشدّةٌ بأسٍ في النّهي عن المُنكرات والرذائل، وهمّةٌ لنيلِ الفضائل.

وكانت تهبُّ رياحه، وتمطر سحبه، ويسرع إليه القصّاد من جيرة وأبعاد، وذكره في انتشار، ونفوذ أمره في اتّساع، فأمسى عَلمًا هاديًا، ناهيًا آمرًا، مذكرًا وواعظًا، بالحقِّ صادعًا... تسامعت بذلك الفتيان فاشتاقت إلى نظر وجهه، وسماع لفظه وحديثه، وكثر في البلاد القريبة والبعيدة خبره، وازدحم مجلسه بالناس، وانتمى إليه كثيرون يغرفون من بحره، ويهتدون بهديه، فتشرفوا بالإضافة إليه، واتّسموا بسمة النسبة إليه، وتميّزوا بأخلاقهم وأفعالهم، وصاروا يعرفون بِسماتهم؛ ويقال في وصفهم إنّهم من جماعة السيّد الأمير. وعندما يذكر ربّه كان جسده يرتجف، وفي كلامه التسبيح والتقديس كأنه يلتذ بذلك كما يلتذ الشكل بشكله.[١٢]

ثمّ إنّ السيّد عبد الله (قدس سرّه) أوضح الحلال والحرام؛ وشرّع فنونًا وأحكامًا، وأمر أنّ الحكمة لا يليق ذكرُها ولا نَشرها؛ إلّا عند الكِرام، ولا يقبلها اللّئام، وأمر بالخيّرات للخيّرين والصالحات

١٢- عجاج نويهض، سيرة الأمير السيّد وآداب الشيخ الفاضل، القدس، مطبعة العرب، ١٩٣٥، ٢٢

jamaleddine updated 26 june 23.indd 23 7/13/2023 11:05:43 AM

للصالحين، وأمرَ بحُسن المعاملة ونهى عن الربا، وجعلَ في سائر البلاد مجالِسَ للذكر، وأذلَّ القوي المستبد ونصرَ الضعيف المستضعف.

لقد كان السيّد الأمير ملازمًا جميع الأوصاف المحمودة في قيامه وقعوده وحركاته، نهاره دراسة وإفادة، وليله فكر وعبرة وحسن مثابة. مواصلًا لإخوانه المذاكرة، وملازمهم بتواتر الإفادة والمعاشرة... يداوي مريضهم، ويجبِرُ كسيرهم، وينصر ضعيفهم، ويضرب على يدِ ظالمهم، ويجعل لهم عنده مراتب بمقدار، كلٌّ على قدر ما ظهر منه من حُسن الأخلاقِ والتدقيق في سلوكِ الصراط المُستقيم. فلما أخلص في العبادة، أمدّه الله بالإعانة، ولما تكاملت فيه الفضائل، ونُشِر عنهُ العدل ونصر المظلوم من الظالم، أطاعه الناس على القرب والبعد، والمحضر والمغيب، وذلك منحة من الوهاب القدير.

أقام الأمير السيّد مجالس الذكر يعبد ربّه وينصح خلقه، ويرجو ما هو خيرٌ وأبقى. كان له منزل مهيّأ، فجاءت إليه الأعيان بالزيارات، ليتباركوا بتلك المشاهدات، ويتلذذوا بتلك المفاكهات. كانت له حركة الكلام مع تسبيح، وتهليل، وتذكير، وتأصيل، ونفس شريفة. كان الاجتماع بزمان الصيف وحرّ النسيم. كان من سياسته وعادته أن يؤثر إخوانه على نفسه، ويستعمل الصبر عند المكاره، والنوائب، والكظم عند الغيظ. يعامل الجار بالرفق والقرين بالمؤاساة. أقام على هذا بما وصفناه من حرّ الزمان والنسيم والحرارة والشوق والمحبة، فأخذته حمّى قوية، والحكم لخالق البرية.

حفظ السيّد كتاب الله العزيز حفظًا عن ظهرِ قلب، بعد أن ألزم نفسه بخطّة للدرس والحفظ، وفق منهاج صارم. فالتزم بعدد صفحات معينة يوميًا. فما كان لينفك عن قراءتها حتى التمكن من

jamaleddine updated 26 june 23.indd 24 7/13/2023 11:05:43 AM

تلاوتها غيبًا، غير مكترث لأي حادث أو حدث قد يلهيه عن إتمام مرامه؛ فانطبعت سور القرآن الكريم في ذهنه، بحيث لا تغيب عنه لفظة واحدة منه.

كان السيّد الأمير يطوف القرى المجاورة لبلدته عبيه، بعد أن ملأ جعبته مما عرفه وسمعه من الملمّين بالقراءة والكتابة، والمحدّثين عن سير الأقدمين فيها. فكانت غايته مساءلة الأجواد[١٣] والمتعلمين، طالبًا للعلم وطامحًا للمعرفة، سائلًا عن مسالك الأتقياء والزهّاد الصالحين. لقد داوم على نهجه في زيارة القرى مدّة طويلة، بالرغّم من وعورة الطرقات، وكثافة الغابات والأحراج الملأى بالوحوش والأفاعي، وحتى بقطّاع الطرق واللصوص.

وفي أحد الأيام، وبينما كان يرتحل بين القرى، فاجأه في إحدى الغابات أسدٌ ضارٍ محاولًا افتراسه، فتصدّى له بشجاعة فائقة وصارعه حتى أماته.[١٤] وصودف أيضًا أن اعترضه يومًا لِصٌّ من قطّاع الطرق، فسلبه ماله وبعضًا من ثيابه تاركا الأمير شبه عارٍ؛ وبالرغّم من صعوبة الموقف لم يعرّف الأمير عن نفسه، بأنّه أحد الأمراء التنّوخيين، ولكن حين علم اللّص بهويّة المسلوب خاف على نفسه، فأرجع ما سلبه معتذرًا؛ سامحه الأمير كاتمًا ما حدث، كما كتم خبر صرعه للأسد، لأنّ نفسه المتواضعة تأبى الفخر والمباهاة.

الأمير السيّد شيخ مشايخ عصره

دأب السيّد عبد الله على زيارة الشيخ زهر الدين ريدان من قرية الفساقين آنذاك (تغيّر اسمها اليوم فصار البساتين، وهي بلدة

١٣- الأجواد: أجاويد التوحيد. مشايخ من الموحّدين في رتب دينية عالية.
١٤- أسد رستم، **آراء وأبحاث**، منشورات الجامعة اللبنانية بيروت، ١٩٦٧، ٤١.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 25 7/13/2023 11:05:43 AM

واقعة في قضاء عاليه)، لقد كان شيخ مشايخ ذلك العصر وإمامًا للموحّدين، (توازي مرتبة شيخ العقل لدى الموحّدين في هذا الزمان). كان يحضر مجالسه بأغلبها. احترمه الشيخ أبو مرعي كونه من سلالة الأمراء، وكان يتكبّد عناء ومشقّات الطرقات ووعورة الغابات، شجاعًا راغبًا في دين الله.

ذات يوم، طلب الأمير السيّد من شيخه أن يستفتح عليه[١٥] ويقبله من المُريدين، وبالرّغم من فرحة الشيخ أبي مرعي بطلب الأمير، إلّا أنّه تخوّف من أن ينكُثَ الأمير بمسلَكِ المُريدين بعد أن يستفتحه، ففضّل المُماطلة لينظر بأمره فيما بعد. أخذ يماطله ويؤجل طلبه من يوم إلى يوم، ومن أسبوع إلى أسبوع، إلّا أنّ الأمير ظلّ صابرًا ملحًّا على طلبه؛ فقرّر الشيخ أبو مرعي أن يمتحنه امتحانًا نهائيًا يختبر فيه صبرَ الأمير وحقيقة توحيده فقال له: «لن أستفتح عليك قبل أن تأتي إليّ من بلدتك عشرين مرّةً، وبعد ذلك أتدارس وإخواني المشايخ في قضيتك»[١٦]، فما كان من الأمير إلّا أن قبّل يدّ شيخه شاكرًا له مبادرته، ووعده بتنفيذ مطلبه. غادر إلى منزله في عبيه تاركًا دار شيخه مسرورًا لأنّ أمنيته ستتحقق، ويصل إلى ما يتمناه من منزلة في العبادة والتوحيد. عند بزوغ الفجر ما كان من السيّد عبدالله إلّا أن توجه إلى بلدة الفساقين حاملًا معه غصنًا صغيرًا من نبتة الريحان (نبتة ذات رائحة زكيّة) قطعه بطريقه من النباتات الكائنة بين الصخور

١٥- ما كان المشايخ العقّال يستفتحون (أي يقرأون فاتحة الكتاب العزيز) إلّا على مَن تاب توبة خالصة، وزهد بالدنيا، وحسنت سيرته وعبد الله عبادة يقين وإخلاص، واقرّ بأنبيائه المرسلين. وذلك ترفّعا من تدنيس كتاب الله بخطايا وزلّات المذنبين.

١٦- فؤاد أبو زكي، **السيّد الأمير جمال الدين عبدالله التنوخي**، بقعاتا الشوف، معرض الشوف الدائم للكتاب، ٢٠٠٢، ١٧٦.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 26 7/13/2023 11:05:43 AM

في عبيه، وهو متجه نحو بيت الشيخ أبي مرعي زهر الدين ريدان، وما إن وصل قرب منزل شيخه حتى وضع غصن الريحان في مكان قريب منه، وخفيٌّ عن الملأ، ليعود أدراجَه قاصدًا نبتة الريحان نفسها ليقطع منها غصنًا جديدًا، ويحمله عائدًا به إلى دارة شيخ العصر ليحسب عدد الزيارات التي عليه القيام بها الى منزل شيخه وهي عشرون زيارة، كما طلب منه الشيخ ابو مرعي.

بقي على هذا الحال طوال النهار حتّى أتمّ العشرين رحلة، بقطع عشرين غُصنًا ووضعها فوق بعضها البعض، بعد أن قاربت الشمس على المغيب وأنهكه التعب، وتمزّقت ثيابه من أشواك الطريق؛ وعندما أنهى رحلاته العشرين بين عبيه والفساقين، اقترب من منزل شيخه، فرآه هذا الأخير بحالته المزرية تلك، فسأله: «ما الذي أتى بك يا بنيّ في هذه الساعة؟ وما الذي جرى لك في الطريق؟» أجابه مريده مبتسمًا متلعثمًا من شدّة التعب: «لقد أتممت مهمتي منفّذًا طلبَك بالذهاب والإياب بين عبيه والفساقين، عشرين مرّة». تعجّب الشيخ من إجابته وسأله أن يثبت صحّة قوله! عند ذاك نهض السيّد مسرعًا من مكانه، وقصد المكان الذي وضع فيه أغصان الرياحين العشرين خارج المنزل، ثمّ عاد ومعه حزمة أغصان الريحان ووضعها بالقرب من الشيخ أبي مرعي، وعدّها جميعها أمامه، وأخبره بما فعله طوال اليوم قائلًا: «هذه الأغصان شاهدة عليّ»؛ فوقف الشيخ متعجّبًا وقبّل الأمير الفتيّ، وضمّه إلى صدره، وهنأه بحسن عقيدته ورغبته الصادقة، ومن ثمّ استفتح عليه بحضور جماعة من المشايخ.

طلب الشيخ أبو مرعي من الأمير أن يبدأ بقراءة القرآن الكريم، ثمّ حفظ ما تيسر له من الآيات عن ظهر قلب، وأن يأتي ليتلوها

jamaleddine updated 26 june 23.indd 27 7/13/2023 11:05:43 AM

على مسمعه كلّما أنهى جزءًا من أجزائه... تتالت الأيام والأمير لم يزر شيخه، فتساءل المشايخ عن غيابه وألقوا باللّوم على الشيخ أبي مرعي، معتبرين أنه تسرّع بالاستفتاح على الأمير الذي لن يكون مريدًا حقيقيًّا، أسوةً بأمراء آل تنُّوخ المأخوذين بحبّ الدّنيا ومشتهياتها... إلّا أن الشيخ ريدان لم يكن ليخيب ظنّه، وظلّ على إيمانه ممّا رآه من الأمير التنوخي، وحسن نيته وصدق تديّنه.

وبعد غياب شهر وصل الأمير المريد جمال الدين إلى بلدة الفساقين قاصدًا شيخ المشايخ أبا مرعي، فقابلَه الأخير بفتورٍ وعتب. سأله الأمير أن يسمح له بتلاوة ما حفظه من آيات الكتاب المبين على مسمعه، إلّا أنّ الشيخ أعرض عنه بغضب، طالبًا منه أن يذهب ليتلوَ ما حفظه على مسامِعِ عبد الخالق وهو ابن الشيخ ريدان، متذرّعًا أنه مشغول. امتثل السيّد وبدأ بتلاوة القرآن الكريم على مسامع الشيخ عبد الخالق وهو يقوم بحراثة أرضه، تعجّب الشيخ وذهل بقوّة ذاكرة الأمير، وذهب به إلى والده الشيخ طالبًا منه أن يتابع هو بدوره سماع الأمير جمال الدين، لأنّه لا يقدر على مجاراته. تابع الأمير تلاوة الكتاب العزيز والشيخ ابو علي يسمع مندهشًا، ومرّ الوقت والأمير يتلو الآيات دون توقف حتى أنه لم يسترح ليأكل. تنبّه الشيخ لإرهاق الأمير الفتى وطلب منه التوقف قائلًا: يكفي يا شيخ عبد الله ما تلوته، فأهلا وسهلا بك في بيتك، لقد ساءت ظنون إخواني بتأخرك المتعمّد، ولكنك اليوم تفوّقت علينا كلّنا بحفظك، وتضحياتك، وحدّة ذكائك، وسرعة خاطرك. فهنيئًا لك بإخلاصك، وحبّك لله تعالى، وطاعتك لرسله الكرام وبإسلامك الصحيح. إنّنا نحترم ونقدّر همّتك العالية، بالرغّم من حداثة سنّك، فالله تعالى

jamaleddine updated 26 june 23.indd 28 7/13/2023 11:05:43 AM

يعينك على طاعته وعلى معرفته، ويثبّتك على دينه القويم، ويلهمك الخير والحقّ لنفسك ولبني قومك. ثمّ تابع كلامه قائلًا: إنّني أرى أنّه لا يوجد في قومنا مَن هو أجدرُ وأحقّ منك بإمامة إخواننا الموحّدين في هذا العصر المظلم بالشرور والآفات والجهل، لذلك سأتنازل لك عنها بكلّ رضى وقبول»[١٧].

ولتحقيق ما قال، دعا الشيخ أبو مرعي زهر الدين ريدان الأمراء والشيوخ وأكابر منطقة الغرب، بالإضافة لأهالي الجرد والمتن والشوف وغيرها، إلى اجتماع عام عُقِد في عبيه، وقيل في بيته، معلنًا أن سبب الاجتماع يتعلق بمصالح الموحّدين، من غير أن يكشف عن القصد الحقيقي الذي يقف خلف تلك الدعوة العامة؛ وفي اليوم المحدّد وقف الشيخ أبو مرعي ريدان وفاجأ الجميع بتنازله عن إمامة الموحّدين الروحيّة لصالح الأمير عبدالله بن سليمان التنّوخي، وذلك لحسن تديّنه وصدقه وسموّ مناقبه، كما زهده بالدنيا وحسن مسلكه التوحيديّ القويم، وتقواه وورعه، وصفاء نيّته، وحبّه لله تعالى. فما أن انتهى الشيخ زهر الدين من ذكر صفات الأمير حتى ألبسه عباية المشيخة (وهو تقليد متوارث عند مشايخ الموحّدين من بني معروف)، معمّمًا رأسه بعمامة ناصعة البياض، وهنأه بالرئاسة الروحيّة. لقد كان يومًا تاريخيًّا مجيدًا في تاريخ مشيخة العقّال الموحّدين، باختيارهم أميرًا تنّوخيًّا لإمامتهم، وقد بلغ الخامسة عشرة من عمره يوم تسلّمه منصب إمام الموحّدين (شيخ العقل)، وذلك في أواخر القرن التاسع الهجري، نحو عام ١٤٠٧م. ولم يذكر التاريخ أو أيّ

١٧– فؤاد أبو زكي، **السيّد الأمير جمال الدين عبدالله التنوخي**، بقعاتا الشوف، معرض الشوف الدائم للكتاب، ٢٠٠٢، ١٧٦.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 29 7/13/2023 11:05:43 AM

من المؤرّخين الموثوقين بأنّ شيخًا استلم يومًا ما منصب الرئاسة الروحيّة وهو في مثل سِنّ الأمير يوم تسلّمه لها.

اتّصف السيّد عبد الله بصفاتٍ تجعله في الذروة العُليا بين العُلماء. اتّصف بصفاتِ العالِم الحقّ الثابت، أي الثّقة البعيد المدى في تفكيره. المتطلّع إلى الحقائق. الحاضر البديهة، والذي تتسارع إليه الأفكار. وقد كان ضابطًا لنفسه، مسيطرًا على أحاسيسه، لا تعبث به الكلمات العارضة، ولا تبعده عن الحقّ العبارات النابية. كان افتخاره في خدمة مولاه جليًّا حيث كان يقول: «لست بشيخٍ ولا سيّدٍ، أنا خادمٌ إن صَلُحْت.»[١٨]

الأمير الأديب

تفاوتت المخطوطات والكتابات حول مآثر الأمير الأدبيّة، وبطبيعةِ الحال كانت المسؤوليّة تقعُ على عاتِقِ تلامذته من الموحّدين الّذين عاصروه، ودرسوا في مجلِسه، وقالوا بقوله. هنا تجدر الإشارة إلى أنّ الشيخ سليمان بن نصر قد عاصر الأمير، كذلك هو حال حمزة بن نصر الذي عاش في منزل الأمير عبد الله، وكلاهما لم يذكرا في ترجمتهما لسيرة السيّد أيّ شيء عن أدب الأمير وفكره.

يضافُ إليهما تلميذ الأمير أيضًا الشيخ أبو علي مرعي الّذي رافقه مدّة من الزمن، وقد قدّم لسيرة سيّده أيضًا، وأشارَ لوجودِ كتبٍ وشروحاتٍ للأمير السيّد، لكن بشكل غامض، ولم يذكرها أو يُسمِّها.[١٩]

١٨- وجدي أمين الجردي، **الرسالة الموسومة بنهر الجمان في شرح غريب آيات القرآن**، أشرف على جمعه ونقله الشيخ أبو صالح فرحان العريضي والقاضي الأستاذ ربيع زهر الدين، منشورات جمعيّة الإشراق الخيريّة – عاليه، د.ت.، ٩٦.

١٩- عجاج نويهض، **سيرة الأمير السيّد وآداب الشيخ الفاضل**، القدس، مطبعة العرب، ١٩٣٥، ١٠٠.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 30 7/13/2023 11:05:43 AM

أمّا الشيخ محمّد مالك الأشرفاني فقد كان أكثر وضوحًا من سابقيه، وربما جرأة أيضًا، بحيث سمّى ثلاثة منها: «سياسة الأخيار» – «كمالات النبيّ المختار» – « مجموع بديع في لغّة العرب العرباء»[٢٠]، حتى أتى الشيخ بدر الدّين العنداري مؤكّدًا عدد الكُتب التي ألّفها الأمير السيّد بقوله: شرحَ الأمير السيّد ثلاثة عشر جزءًا على ثلاث رسائلٍ مكرّمة، وجمَعَ المجموع البديع في لُغّة العرب العرباء، ولَهُ كتاب سياسة الأخيار، وشرح كمالاتِ النبيّ المختار.»[٢١]

ومن المُفيد ذِكره، أنّ المؤرّخ فؤاد أبو زكي قد طاف في قُرى وبلداتٍ عديدة في لبنان وسوريا، ممّا مكّنه من العثور على سبعةِ مؤلّفات للأمير السيّد، معظمها لم تكن معنونة أو ممهورة باسم السيّد وختمه، لكنّه أثبت ذلك بالمقابلة والمقارنة، من خلال ما يتناقله ثقات مشايخ الموحّدين، وخاصة أنّ السيّد كان قد ذكر مؤلّفين منهما في وصيته الخاصة: «سبل الخيرات» – «ترياق الذنوب ودواء العيوب» حيث أوصاهما لتلميذه زين الدين جبرائيل بن نصر؛ أمّا ما تبقى من كتبٍ ومؤلّفات فهي بحكم المفقودة؛ وبذلك يحدّد المؤرخ أبو زكي ما عثر عليه من الآثار الأدبية والتشريعيّة على الشكل الآتي:

– سبع مؤلفات (ترياق الذنوب ودواء العيوب، سياسة الأخيار، تشريع الزواج بين الموحّدين، الدُرر والجواهر، مسلك المريدين، سُبل الخيرات، سفينة اللغّة).

٢٠– محمّد مالك الأشرفاني، **عمدة العارفين**، أشرف على نقله وجمعه فايز عزّام، القدس، ٢٠١١، ٦٢.

٢١– يوسف ابراهيم يزبك، **وليّ من لبنان سيرة العارف بالله**، يطلب من معرض الشوف الدائم للكتاب، ط ٤، ٢٠٠٤، ٧٨.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 31 7/13/2023 11:05:43 AM

- سبع رسائل إخوانيّة (رسالة إلى الشيخ ناهض الدين حصن الدين، رسالتان إلى شيخ علم الدين سليمان بن نصر، رسالة عامة إلى أهل وادي التيم، ورسالة إلى آل سليمان في وادي التيم، رسالة إلى الشيخ أبي عبد القادر زين الدّين ريّان، رسالة عامة إلى جميع البلدان).
- خمسة أدعية.
- شبه ديوان شعر.

تكتفي هذه الدراسة بإشارة مقتضبة إلى محتوى تلك المؤلّفات، كما ستتوسّع فيما يخدم إشكاليّة هذا البحث لجهّةِ ما خصَّ التقارب الديني بين المذاهب الإسلاميّة لدى الأمير السيّد جمال الدين عبد الله التنّوخي.

كتاب ترياق الذنوب ودواء العيوب

هو كتاب غير معنوَن. موجود في مخطوطتين، بحيث تتضمنان قصصًا وحكايات بعض الزهّاد بالإضافة إلى المواعظ والأشعار. هو كتاب يحتوي من أوله لآخره على نداءات وتأنيب، أوامر ونواهٍ، معالجة للنفوس المريضة ووصف للأدوية الشافية، وتوضيح لعقاب المذنبين.

ومن أقواله في هذا الكتاب:

قوله: «إخواني! ذهبت أعماركم في طلب الشهوّة، والموت قد دنا. فلماذا هذه السهوّة؟ يا قليل التدبير، ويحك إلى متى هذه الغشوة؟ ارجع إلى الله وتبْ من هذه الهفوة، شيب وعيب، ما هذه نخوة...»

jamaleddine updated 26 june 23.indd 32 7/13/2023 11:05:43 AM

كما يخاطب المنافق قائلًا: «يا كثير النّفاق! يا قليل الوفاق! يا مرير المذاق! يا قبيح الأخلاق! يا دائم التّواني! قد سار الرّفاق وإخلاصك معدوم، وسائق الأجل قد ساق، وعظُم البلاء، وما للسعتك ترياق، وعمرك كلّ يوم في المحاق، وخيل المنايا عليك تركض بالسباق، وعقاب الحِمام قد حوّم عليك فوالله ما يطاق، لا المواعظ تزجرك، ولا الشيب يُنذرك، ولا الموت يحذّرك».

ويقول أيضًا: «يا هذا، كم نقرّبك وأنت تتباعد. وكم ننبّهك إلى الصلاة وأنت تتقاعد. وكم نوقظك وأنت في الهوى راقد. يا عميّ البصيرة وما لك قائد، يا طويل الأمل لست بخالد. يا مقترف الهموم والمقصود واحد...».

ومن أروع ما قال في هذا الكتاب أيضًا: «يا هذا! لو عرفت قدر نفسك ما أهنتها بالمعاصي. إنّ الذنوب تغطي مرآة القلب فلا يظهر فيها وجه الهُدى المطلوب. بادر بالتوبة قبل فناء عمرك، ويدرك الموت أجلك. واعجباه! ينبّه الحيوان بالليل ويصوّت وأنت نائم. ويحك. افتح عينيك، وأدّب نفسك. ويحك! خفّ عودك، ففيما قعودك؟ وآيس منك وجودك. فأين جودك؟ وذهب شبابك فأين مثابك. ودنا رحيلك فأين عويلك؟ وقرب مصيرك فأين نصيرك؟ تمسّك بحبل الواحد القهّار».

وتابع مستطردًا: «حاسب نفسك قبل أن تُحاسَب، وهذّبها من قبل أن تعاقب، وجاهدها الجهاد الأكبر، واقهر شهواتها، وذَرِ الإصرار إنْ كنت من النّاس الأبرار الّذين عملوا في الدُّنيا بإخلاص الطاعة، وأُلبِسوا ثياب التقوى وتزوّدوا بالقناعة، وكونوا في الدنيا على يقظة، مرتقبي الساعة».

jamaleddine updated 26 june 23.indd 33 7/13/2023 11:05:43 AM

ويقول محذّرًا من الموت: «تحذَّر فالموت قريب أجله لا يبقي على الوالد ولا على ولد. فهو كسهم أطلق إن فاته الهدف اليوم. فلن يفوته غدًا».

ويقول في معرض حديثه عن التعب في الدنيا والآخرة: «تعب الدنيا بكاء ونياحة، وتعب الآخرة سرور وراحة. كم بين خديم الدنيا، وعبد يعبد المولى، فهذا محفوظٌ من الشرّ في حرز التّقوى، وذاك مبذول للشرّ والبلوى. هذا يوم القيامة في العزّ والكرامة، وذاك في حسرة وندامة.

ثمّ يضيف في آخر المخطوطة: «اللهم سلِّمنا من الدّنيا واحتيالها، واختم لنا بخيرٍ عند زوالها، ونجِّنا من القيامة وأهوالها. اللهم أنقذنا من هول ذلك اليوم المهول. واجعلنا من جملة أولئك المخلصين الطائعين المقبولين، بجاه وليّك الهادي النذير الرّسول. أجب دُعانا! فأنت مولانا. وتلطّف بنا وأكرم علينا. فأنت أفضل مأمول. والحمد لله وحده. وصلّى الله على خير خلف، محمّد وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليمًا.»

كتاب سياسة الأخيار

عَنوَن الأمير السيّد كتابه هذا: «سياسة الأخيار ومقام وجوب الاختبار»، بعبارتين منمقتين بالسجّع. تحدث في هذا الكتاب عن التوبة وشروطها، وقبول سائس المسجد للتائب، وواجبات السائس نحوه، وواجبات المُريد نحو نفسه ونحو إخوانه وسائسه. وعلى الأرجح أن السيّد عبد الله وضع مؤلّفه هذا بعد عودته من دمشق.

وأهمّ ما جاء في هذا المؤلّف مقدمته التي يمكن اعتبارها نصًا واضحًا، ملتزمًا عقيدة التوحيد، وأركان الإسلام بشكل عام. حيث

jamaleddine updated 26 june 23.indd 34 7/13/2023 11:05:44 AM

قال الأمير في مقدمة كتابه: «إنّ الله تعالى، فضّل الإنسان على جميع مخلوقاته، بما اتّحد به من أنوار علويّة، وحقائق إلهيّة، وعلوم ملكوتيّة، كما عليه أن ينزّهه عن الحدّ والنعت والصِّفة، ويعرف صفيَّه النبيّ المختار الذي بعثه هدًى للعالمين (صلّى الله عليه وسلّم)، ويعلم أنّ الصدق من الإيمان، كالرأس في الجسد، وأنّ الإيمان باب التّوحيد، وأنّ الصدق هو التّوحيد بكماله...»

وفيما خصّ موضوع المؤلّف الأساس ألا وهو التوبة، فهي وفق عقيدة الأمير السيّد (ق.): التيّقظ من رقدة الجهل، مع الندم الشّديد على الخطأ، والإقلاع عنه من حيث النيّة، والقول والفعل، والقيام بعمل صالح لقوله تعالى:{إلّا مَن تاب وآمن وعمل صالحًا فأولئك يدخلون الجنّة ولا يُظلمون شيئًا} **[سورة مريم الآية:٦٠]**. والله يحبّ التائب والمتطهر بقوله:**{إنّ الله يحبّ التّوابين ويحبّ المتطهرين} [سورة البقرة:٢٢٢]**. ويأمر السيّد بالتوبة النّصوحة إلى الله عزّ وجلّ، عملًا بقوله تعالى:**{يا أيّها الّذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نصوحًا} [سورة التحريم:٨]، ويذكر السيّد في كتابه حديثًا شريفًا حين سئل النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) ما علامة التوبة؟ فقال: الندم.**

كتاب تشريع زواج الموحّدين

أهميّة هذا الكتاب تكمن في أنّه لم يكن للموحّدين تشريع خاص مكتوب فيما يتعلّق بأمر الزواج والطلاق والوصايا، قبل أن يتسلّم الأمير عبد الله التنّوخي إمامة الموحّدين. حيث كانت الأمور الاجتماعية أقرب إلى الفوضى قبل تشريعات السيّد. وقد استمدّها

jamaleddine updated 26 june 23.indd 35 7/13/2023 11:05:44 AM

من الشريعة الإسلامية السَّمِحة، ومن اجتهاداته الخاصة التي بناها على المساواة والعدل والإنصاف بين الزوجين، وجعل منها قاعدة دينيّة اجتماعية تشبه المقدّسات.

إنّ أهم ما ذكره السيّد في مؤلفه هذا، تشديده على أن يكون الزّواج حاصلًا بالرّضى والتسليم من الطرفين: أي الزوج والزوجة، وأن يكون الرّضى والتسليم جاريين على نظام واتّباع شرع الدّين الذي شرعه الله تعالى على لسان أنبيائه، وهو النظام الذي يحدّدُ علاقة كُلّ واحد منهما بالآخر، ولولا هذا النّظام لما كان الزواج وسيلةً للتعاون بين الزوجين، واشتراكهما في تحمّل أعباء الحياة؛ ولولا هذا النّظام لما كان الزّواج سببًا في المودّة والرحمة اللّتين يشير إليهما القرآن الكريم في قوله تعالى: **{ومن آياته أن خلق لكم من أنفُسِكُم أزواجًا لتسكُنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة}** [الروم، ٢١].

وأهم قسم من أقسام هذا المؤلَّف العديدة التي تراوحت بين شرح ماهيّة الزواج، وموانعه، واختيار الزوجة، وعقد الزواج، ومعاملة المرأة، وموانع الجماع، كما الواجبات بين الزوجين... يبقى القسم الأهم من بينها وهو الشهوة، حيث ذمّ الأمير السيّد الشهوة البهيميّة، ووضع قواعد لقهرها، وأوضح أخطارها ومضارَّها في أمور الدّنيا والدّين. وحدّد ضررها في الدّين أنها تقوّي النفس الأمّارة بالسوء، وتحجُب العقل عن خالقِ البريّة، وأمّا مضارُّها في الدّنيا فإنها تضعِفُ البَدن، وتقصِّر عُمر الإنسان، وتهدُّ قِواه وتسقمه.

وقد كتب الأمير السيّد في هذا موضحًا: «لا يصفو التمتّع بنور الحكمة، ولا يرضع ثديها من لّم يفطم نفسه عن الشّهوة. فالشّهوة

jamaleddine updated 26 june 23.indd 36 7/13/2023 11:05:44 AM

تجذب العقل إلى الأسفل، والحكمة تجذبه إلى العلاء. فترك لذّة فانية، للذّة باقية لا فناء لها، يكون تاركها قد تشبّه بملائكة الرحمن، وترك التشبّه بأهل العمى والضَّلال»؛ وقد أورد الأمير السيّد في كتابه وسائل قهر الشهوة البهيميّة وكيفيّة قمعها، وذلك من خلال وسائل عديدة:

- ذكر الله واستشعار حضوره في كلّ لحظة.
- تلاوة آياتِ القرآن الكريم.
- التفكّر في يوم الميعاد.
- التفكّر في فنائِها وسُرعة زوالها وانقراضها.
- التفكّر في تبعاتها ودوامها.
- التفكّر فيما يرى من تأثيرها في الأبصار والبصائر، وطمس مرآتها وحجب مشاهدة باريها.

تجدر الإشارة بأنّ الأمير السيّد عبد الله في كتابه هذا، قد ساوى بين الرجل والمرأة، وأعطى المرأة حقوقًا كاملة. وأوجب على الزّوج مساواتها بنفسه في الدّين والدّنيا، وإنصافها من جميع ما في يده.

كتاب الدُّرر والجواهر

وهو مخطوطة يقع في آخر كتاب سياسة الأخيار، من صفحة ٣٩ حتى صفحة ٤٢، وقد أتت مقدمّته مسجوعة كما باقي الكتاب. أبرز ما جاء فيها: «الحمدُ لله على ما ألْهَمَ من شُكر أياديه ونعَمه، حمدَ مَن عرف قدر مواهبه، وتواتر مِنَنِه، لهُ الحمد الدّائم والثّناء الثّابت القائم، أشهد أنّ لا إله إلّا هو الموجود في كلّ أوان، الدّائم

jamaleddine updated 26 june 23.indd 37 7/13/2023 11:05:44 AM

في كلّ عصرٍ وزمان، المذكور بكلّ لغة ولسان. فخذّ أيّها اللّبيب الماهر هذه الدّرر والجواهر، واتّبع البواطن، وارفُض الظواهر، فإن أَشرَفت تشرَّفت، وإن عَجِزْت حُجِزْت، وإن فَهِمت فُهِمت».

وفي متن هذا الكتاب، نص يورد فيه الأمير السيّد مقطعًا من أفكاره الغامضة، أتى تفسيرها في الكتاب بالحبر الأحمر. وبشكل أفقي قائلًا: «يجب على النّاقد الخبير أن يفضّل: الأعمى على البصير (أهل الحقّ على أهل الباطل)، والبصير على الأعمى (أهل الحق على أهل الباطل)، والأسماء على الصفات (الملائكة على الفَسَقة)، والصفات على الأسماء (العبيد على المترفين)، والشّراب على الشّارب (علم التوحيد على شارب الخمر)، والشّارب على الشّراب (أهل الحق على الضدّ) والسّراب على الماء (الوجود على الآسن)، والماء على السّراب (المعلم على عمل الكافر). ويبغض الأكل (علم الظاهر). والشرب (علم الباطن). ويشتهي الموت (موت النفس). والضّرب (ضرب الأمثال)».

كتاب مسلك المريدين

إنّ النسخة الأصلية من هذه المخطوطة مفقودة. وهذا ما أكّده الباحث الدكتور فؤاد أبو زكي في كتابه، إلا أنّ نسخًا عديدة متوافرة منها في منازل الموحّدين، وقد اعتمد بدوره على أحدث ثلاث نسخ توافرت له، حتى أوجز ما ورد عن لسان الأمير السيّد (ق.) فيها.

لم يضع الأمير (ق.) عنوانًا لهذه المخطوطة، إلّا أنّ الباحث أبو زكي في كتابه الذي يعدّ مصدرًا أكثر منه مرجعًا، كان قد وضع لها عنوانًا هو «مسلك المريدين» مستوحيًّا ذلك من متن النصّ

jamaleddine updated 26 june 23.indd 38 7/13/2023 11:05:44 AM

الذي قرأه. وقد علّل ذلك قائلًا: «سميّته «مسلك المُريدين» لأنّ المؤلّف قصد من تصنيفه، تعريف مُريده بنفسه وماهيّتها، وبعمل جوارحه، وبماله، وكيف يجب أن يصرفه، وبولده وتربيته، وبالمسالك الصّالحة التي يجب أن يسلكها، التي توصله إلى الإنسانيّة الشاملة والكاملة.»[٢٢] وقد نصّ الأمير عبد الله هذا المؤلَّف في خمسة أقسام: معرفة النفس وتهذيبها، الجسم وجوارحه السبع، المال، الولد، وما يملك الإنسان.

من أهم ما يمكن سرده عمّا ورد في هذه المخطوطة في شأن النفس ومعرفتها، هو نظرة الأمير السيّد للرّوح على أنّها النّفس، والنّفس أنّها الرّوح، ولم يفرّق بينهما، فكلاهما واحد برأيه. ويقول بلسان حاله الشريف عن النفس: «أصعب الأشياء على الإنسان أن يعرف نفسه، ويُدرك جوهرها، ولا يصل إلى ذلك إلّا بعد جهدٍ عظيم، وبحثٍ مضنٍ، ولُبٍّ دقيق، فمن عرف نفسه معرفة حقيقيّة عَرَفَ ربّه، ومَن عرف ربّه سعد سعادةً أبديّة».

ورأي الأمير السيّد أنّ النفس لا حول ولا قوّة لها، ولا عظمة، ولا قدرة ولا عزّة، أمّا العظمة والعزة فقط لموجِدِها سبحانه وتعالى؛ أمّا تعريف النّفس بحسبِ الأمير السيّد فقد وردَ كالآتي: «هي حيّة جوهريّة، شفافة، عاقلة، عالمة... تقبل الجهل كما تقبل الحكمة، التي هي حياتها، قبولًا متساويًا. النّور والظلمة فيها سواء؛ لا ترجيح لأحدهما على الآخر حين الفطرة، أمّا بعد ذلك فإن مالت إلى

٢٢– فؤاد أبو زكي، **السيّد الأمير جمال الدين عبدالله التنوخي**، بقعاتا الشوف، معرض الشوف الدائم للكتاب، ٢٠٠٢، ٣٧٣.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 39 7/13/2023 11:05:44 AM

الخير حسنت، وإن مالت إلى الشرّ فسدت.»[٢٣] وأهم ما جاء في هذه المخطوطة عن خَلق النفس، أنّ الأمير السيّد أكد إيمانه واعتقاده بأنّ النّفس خُلِقت من نور العقل الكلّي الذي أبدعه الله نورًا شعشعانيًّا، ومن ظلمة الضّد الذي أبدَعه من نور العقل.

ويؤكد أن الله خلق النفس لعبادته، وذلك لقوله تعالى **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}** [الذاريات، ٥٦]. مذكّرًا أنّ النّفس أمّارة بالسوء. فيها ظلمة تأتيها من ذاتها، كما يأتيها الشرُّ والفساد. وعلى الإنسان أن يجاهدها بقوّة، ويؤدّبها، ويستعين عليها بالجبّار القهّار، وبحكمة النبيّ المختار المصطفى – صلّى الله عليه وسلّم– ويصبر حتى تتغلّب عليه أنوار التوحيد. فتقهر ظلمة التلحيد، ليأتيه النصر والظفر من الربّ تعالى. فتعود نقيّة طاهرة إلى رحاب الحقّ والخير.

وقد تطرّق الأمير السيّد في مخطوطته تلك، إلى موضوع مهم وهو خلود الرّوح. ويقول السيّد في هذا الصدد إنّها موجودة في بدن جسماني لا تفارقه طَرفة عين، قائلًا: «ومن معرفة النّفس لذاتها، أن تعرف أنّها موجودة في بدنٍ جسماني لا تفارقه أبدًا، بل كلّما ذهب بدنٌ انتقلت إلى آخر، ولا تكسبُ خيرًا ولا شرًّا إلّا به. ومع وجودها في البدن، يجب عليها ألّا تكون تحت شهواته ولا أغراضه، ولا منقادة له في حال من الأحوال، بل تكون هي القاهرة والسائسة والمدبّرة له». هذا هو الرأي الذي اعتقد وآمن به الأمير السيّد (ق.) كما اعتقده مُريدوه، وأطلق عليه فيما بعد عقيدة التقمص، وهي من

٢٣ المصدر نفسه، ٢٧٧.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 40 7/13/2023 11:05:44 AM

ركائز المسلك التوحيدي في الإسلام، والتي تشكلّ اللُّبنة الأساس في تفادي تداعي فكرة التطوّر والارتقاء.

وقد فرض الأمير التنّوخي على المريد بعد معرفة نفسه، أن يطهّر أخلاقه من طبائع الشرّ والحقد والرذيلة، المخلوقة معها، والمتجسّدة فيها، وهي: المعصيّة، الظلمة، الاستكبار، الجهل، والمعاندة، من خلال طبائع العقل الخمسة: حرارة العقل، قوّة النّور، سكون التواضع، برودة الحلم، ليونة الهيولى.

ويختتم مخطوطته موردًا أنّ على العبد المُطيع أن يستشعِرَ وجودَ الله، وحضوره في كلّ وقت، بعد الإقرار بعظمته وجبروته سبحانه وتعالى. وأنّه لا يغيب عنه طرفة عين، وأنّه سبحانه مطّلع على سرّه وضميره. وقادر على كلّ شيء. كما قال تعالى في كتابه الكريم: **{مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا}** [المجادلة، ٧].

وقد طلب الأمير السيِّد إلى كلّ عبد مؤمن، أن يقرأ كتاب الله المكرّم، ويحفظ سوره وآياته عن ظهر قلب، ويدرك معانيها جيدًا، من خلال شيخ عالم مفيد، لأنّ الحفظ بيتٌ للدرس، والدرس بيت للمعنى، وهذه الأحوال هي حياة الرّوح؛ فلا ينبغي إهمالها ساعة واحدة، على ألّا يكون وصول ألفاظ الآيات والحكمة إلى أذن المُريد بأسرع من معناها إلى فؤاده.

ويختم السيّد فيما يخصّ معرفة النّفس بالقول، إنّه لا وصول ولا ارتقاء، ولا معراج إلى المرتبة الملائكيّة السّاميّة، إلّا: «لمَن أيقن أنّه لا راحة لمَن تعجّل الراحة، ولا لذّة لمَن انهمك في اللّذة، ولا مهنأ

jamaleddine updated 26 june 23.indd 41 7/13/2023 11:05:44 AM

لمَن أولِعَ بطلب الثّروة، ولا عزّ لمَن تذلّل في طلب الرئاسة، ولا مُلك لمَن كان عبدًا لشهوته، ولا شرف لمَن صار آلة لبطنه وفرجه. ولن يبلغ الكمال الأنسيّ مَن لم تكن سيرته على نظام».

في كتاب مسلك المريدين يتطرّق التنّوخي الأمير إلى الجسم (بدن الإنسان)، بحيث يعتبره بجملته آلة للنفس التي لا تنحلّ ولا تبيد بمفارقته، فكلاهما وحدة متماسكة متلازمة، بحيث يورد الأمير السيّد قولًا مفاده: «لا جسد بلا روح، ولا روح بلا جسد». وقد طلب الأمير (ق.) من المريد «أن يعتني بجسمه عناية فائقة بتغذيته ونظافته، وأن يعوّده التوسّط في كلّ الأمور، ويولي جوارحه السبع: اللّسان، والعين، والأذن، واليدّ، والرِّجل، والبطن، والفرج، العناية التّامة، لأنها قوام الجسم وأصل بنيته، وبها يكتسب الإنسان الخير والشرّ، والنّفع والضرّ.[٢٤]»

وفي معرض حديث السيِّد عن الجوارح السبع، من الجدير بالذكر أنه توسّع في وصف كلّ منها، وصفًا دقيقًا. وشرح دورها شرحًا مستفيضًا. معلّلًا شرحه وتفسيره بآيات مبيّنات من الكتاب العزيز.

فيما خصّ **اللسان** اعتبره الأمير التنّوخي بأنّه أول جارحة من جوارح الجسم. وقد كنّاه «بأبي الكبائر»، معتبرًا أنّ الله أنعم باللسان على الإنسان الحيّ النّاطق، لينطِقَ بالصدق والحقّ، ويدعو للخير والهداية، وينشر الحِكَم، ويشكر النعم. وأنّ اللّسان ترجمان القلب. فإن صلح القلب واستقام اصطلح اللّسان، وإن فسد القلب فسد

٢٤ فؤاد أبو زكي، **السيّد الأمير جمال الدين عبدالله التنوخي**، بقعاتا الشوف، معرض الشوف الدائم للكتاب، ٢٠٠٢، ٣٨٨.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 42 7/13/2023 11:05:44 AM

اللّسان. وجرى على الكذب والبهتان. وشدّد على الإنسان أن يتفادى الكذب، كما الوعود الكاذبة، بل وإنّه من صالح الإنسان ألا يَعِدَ، فذاك أفضل، وفي حال اضطّر إلى الوعد، فليعلّقه بمشيئة الله، فيقول في كلّ وعد: إن شاء الله، على ألّا يخلف وعده عملًا بقوله تعالى: **{وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}** [الكهف، ٢٣-٢٤]. وإلّا كان إخلاف الوعد ضربًا من الريّاء والنّفاق، وخبث النيّة، وفساد الخلق، والكُفر بالله، والشّرك به. يشير السيّد عبد الله (ق.) إلى الصمت ويربطه بقول الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) «مَن صمتَ نجا». فمسؤوليّة الإنسان أن يعوّد لسانه على الصّدق، لأنّ الصدق حلية اللّسان والإنسان. قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ }**[التوبة، ١١٩].

أمّا فيما يخصّ **العين**، فقد شرح التنّوخي السبب من خلق الله لهذه الجارحة وكيفيّة استعمالها، قائلًا (ق.): «لا شيء من جميع المخلوقات التي أبدعها الله تعالى أعجَبَ مِن العين، ولا أقوى بُرهانًا على عظم صناعته البديعة، إنّها لذّة الحياة وبهجتها، بها ينظر الإنسان الجمال الحقيقيّ للكون، وإلى عجائب ملكوت الأرض والسموات، وبها يهتدي في الظلمات، ويستعين بها في حاجاته. قد خلقها الله للاعتبار في حكمته وقدرته.[٢٥]» ومن العبر التي تحدث عنها الأمير السيّد، والتي تُدرك من خلال العين، النّظر إلى الأفلاك الدوّارة، ومشاهدة الأرض وما عليها، من البحار وحَوَيَان النّبات[٢٦]، في وسط الأفلاك معلّقة بالقدرة في الفضاء، وبُعد الأفلاك منها من

٢٥- المصدر نفسه، ٣٩٢.
٢٦- «حَوِيَ النَّبَاتُ» : اِسْوَدَّ مِنْ شِدَّةِ النَّضارَةِ – المعجم.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 43 7/13/2023 11:05:44 AM

سائر الجهات سوًى؛ وفي النّظر إلى الإنسان والحيوان، والمعادن، والنبات، وجميع صناعة الله هو حكمة. فرض على المَريد صون عينه عن الخيانة، وغضّ الطرف عن المحارم، إجابة لقوله تعالى: **{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ}** [النور، ٣٠]. ينصح الأمير المُريد بألا يمكّن عينيه من الإمعان في النظر إلى شيء، إلّا الشيء الّذي يحرّكه لذكره، عملًا بقوله تعالى: **{الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِ}** [الكهف، ١٠١].

أمّا جارحة **الأذن**، فيرى الأمير السيّد بأنها مقصورة على الأصوات المسموعة ومجبرة على السماع. يجب أن تستعمل الأذن في المقام الأول لسماع حكمة الله، والإصغاء إليها. حذّر السيّد من الإصغاء إلى البدع المستحدثة، والغِيبة، والفحش، والخوض في الباطل، وذكر مساوئ النّاس، والكَذِب والزّور، والنّميمة، والهَزل، وغيرها من الأمور التي قد تُحرّك الشهوات أيضًا كغناءِ المرأة أو الصبيان، معتبرًا أنّ على العبد أنّ ينزّه سمعه عن الإصغاء إلى أي شيء لا يطابق الحقّ، وأن يجعل عقله فاصلًا بين قلبه وأذنه، حتى يستعرض ما يدخل فيها قبل أن يعرضه على فؤاده، فإذا فعل ذلك كانت أذنه أذنَ خيرٍ، وفاز سالمًا من كلّ ضيق.

كذلك هي **اليد** جارحة يقتصر استخدامها على الأخذ والعطاء بحسب الأمير السيّد (ق.) كما خدمة الجسد، وجلب الخير إليه، ودفع الشرّ عنه. إنّ من أجمل ما أورد الأمير حول جارحة اليدّ أنّه قال: «لا يحلُّ للإنسانِ إهمالَ يدِه مِن تعلّم حرفة، كذلك يحرّم عليه تعليم يده الصّنعة للمباهاة والمفاخرة، والجاه، والصّيت الحسن.»[٢٧]

٢٧- فؤاد أبو زكي، **السيّد الأمير جمال الدين عبدالله التنوخي**، بقعاتا الشوف، معرض الشوف الدائم للكتاب، ٢٠٠٢، ٣٩٦.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 44 7/13/2023 11:05:44 AM

وبعد تناوله لجارحة اليدِ، يأتي على ذكر جارحة **الرِّجل**، حيث ذكر بأنها مقصورة على السعي. جعلها الله تعالى نظام الجسد، وأوجب على المُريد استعمالها في منافع الجسم ومصالحه، وفي الخير وطلبه، وفي السعي إلى الإرشاد والهدى، والإصلاح بين النّاس، والمواظبة للسعي في مواجب العبادة، وزيارة إخوانه في أفراحهم، ومواساتهم في أحزانهم. عليه أن يعوّدها الحركة لإنعاش البدن، وذلك بما يعود على صاحبها باليقظة والنبّاهة وصحّة الجسم.

فيما خصّ **البطن** لقد عرّفه الأمير السيّد بأنّه حقيبة الإنسان. على أن تكون أول فريضة على الإنسان هي بأن يحفظ الإنسان بطنه من الحرام والشبهة، لأنّ مع تناولهما لا يصِح دين، ولا يصفو باطن، ولا تنقى سريرة من خبث، وأن يحرص على طلب الحلال، وطلبه فريضة على كلّ مسلم، معتبرًا أنّ العبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحر.

أمّا **الفرج** برأي السيِّد (ق.) فقد قصره الله تعالى على الجماع الحلال لا غير، وعلى وجود الخَلَف وبقاء النسل. أمّا إذا استعمل لقضاء شهوة منقرضة، يكون قد خالف لما خُلِقَ له. وقد أوجب الأمير السيّد أن يحفظ الإنسان فرجه من الزنى، لأنّ الربّ حرّمه تحريمًا شديدًا، وجعله من العظائم والكبائر الآثمة. بحسب الأمير يكون حفظ الفرج، أولًا بحفظ العين عن النظر إلى المحارم، وحفظ الأفئدة عن الأفكار الخبيثة والوساوس المقلقة، وحفظ البطن عن الشهوات والشبهات والشبع. هذه جميعها محرّكة للشهوة، لأن العبد يزني بنظره، ثمّ بفكره، ثمّ بفرجه. فينبغي على الإنسان أن يتعفف عن الثلاثة بالكُليّة. فإذا غض طرفه، وحفظ فكره من الوسوسة، والنيّة

jamaleddine updated 26 june 23.indd 45 7/13/2023 11:05:44 AM

الخبيثة، أمِن من الزنى. **{إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ }** [النحل، ١٠٦].

التنُّوخي الطبيب

إلى جانب كونه نبراسًا يضيء بنور الحقّ هاديًا المُريدين إلى درب الخير، وربما يشفي الأرواح من سقم الظلمة والظلم، كان الأمير السيّد وباطّلاعه الواسع على جواهر مختلف العلوم، كان إلى حدّ ما طبيبًا يصف الأدوية للناس، ويشخّص لهم حالاتهم المرضيّة بشكلٍ دقيق.

ومن نصائحه للإنسان: «ألا يأكل إلّا عن جوع، ولا يملأ المعدة، فإذا ملأها أثقلته عن النُّهوض، وأعجزته عن أداء السنن والفروض... والامتلاء مضرّ بالجسم، مسلِّط عليه الآفات». ويعتبر السيّد (ق.) أنّ آفة الشبع تعالج بالاعتدال في الأكل الذي يحمل منافع كثيرة منها: «يكون الإنسان أصحّ جسمًا، وأجود حفظًا، وأقلّ نومًا، وأخفّ نفسًا، وأخلى قلبًا، وأكرم خلقًا». يستطرد السيِّد بسرد نصائحه الطبيّة قائلًا: «إنّه إذا شرع الإنسان في الأكل فليعلم أنّه ضيف الله، فليسمّه في الابتداء، ويحمده في الانتهاء. وإذا تناول الأكل فليرفع يده عنه وعنده بقيّة من الشهوة إليه، ولا يأكل في نهاره وليله سوى أكلتين.»[٢٨]

كتاب سبل الخيرات

في هذا الكتاب بالذات يساهم الأمير (ق.) بعمليّة التقارب المذهبي في الدّين الإسلامي بحيث يستفيض في الشرح والتفسير،

٢٨- فؤاد أبو زكي، **السيّد الأمير جمال الدين عبدالله التنوخي**، بقعاتا الشوف، معرض الشوف الدائم للكتاب، ٢٠٠٢، ٤٠٢، ٤٠٣.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 46 7/13/2023 11:05:44 AM

فقد تناول في هذا المؤلَّف بشكلٍ مسهب، أركان الإسلام الخمسة وشروطها. الجوارح السبع وعملها، التوبة ومقاماتها الخمسة (الإقلاع عن الذنب، النّدم عليه، الخوف منه، الرّجاء في العفو عنه، إضمار عدم العودة إليه أبدًا)، الدّنيا وأحوالها، الآخرة وأعمالها، والمسالك القويمة التي وجب على كلّ عاقل سلكها.

لقد شرح الأمير السيّد في هذا المؤلف سُبل الوصول إلى الجنّة، كما السُبل الموصلة إلى جهنم، بالإضافة إلى مجازاة الطائع والعاصي، كما أسهبَ في تعريف المسالك العشرة، وحقيقة كلّ واحد منها، وهي المسالك التي تجمع فرائض الدين، وحجّة للصادقين، ومحجّة واضحة للمريدين؛ أمّا المسالك العشرة فهي:

المسلك الأول: معرفة الله تبارك وتعالى. الثاني: معرفة الرسول (صلّى الله عليه وسلّم). الثالث: معرفة العلم وأهله. الرّابع: معرفة النّفس وحركاتها. الخامس: معرفة العقل ومحلّه. السادس: معرفة الحلال والحرام، الخير والشرّ. السابع: معرفة الدِّين وقوامه. الثامن: معرفة الدنيا وأحوالها. التاسع: معرفة الآخرة وأعمالها. العاشر: في إخلاص الأعمال، وهو موصول بثواب الآخرة. وبرأي السيّد (ق.) على المُريد سلك المسالك العشرة بعفّة وصدق، وإخلاص، ليصل إلى الكمال الحقيقي، وينعم بمشاهدة الباري تعالى.

ما يهمّنا من هذه المسالك العشرة في هذا البحث أن نشير إلى المسلك الثاني ألا وهو معرفة الرسول صلّى الله عليه وسلّم، والذي فسّره وشرحه الأمير السيّد، الأمر الّذي يدعم موضوع البحث لناحية التقارب المذهبي في الدين الإسلامي؛ فمهما تباينت المذاهب بالفقه

jamaleddine updated 26 june 23.indd 47 7/13/2023 11:05:44 AM

والشريعة، لكنها ولا شك ستبقى موحَّدة موحِّدة لله ربّ السماوات والأرض، سبحانه وتعالى، وكتابه العزيز كما رسوله الأكرم عليه أفضل الصلاة والسلام.

يقول الأمير التنّوخي في مسلك معرفة الرسول: «اعلم أيها السالك أشرف المسالك، أنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق الخلق فرض عليهم المعرفة وأمرهم بالطاعة، فعلم أنهم عاجزون عن معرفة الحقيقة، ولا يمكنهم الوصول إلى هذه المعرفة، إلّا برسول مؤيَّد من لّدُنه يهديهم ويدلّهم إلى سُبل المعرفة، ويرشدهم إلى مراقي الطاعة، ويعرّفهم الحقّ، ويحثّهم على إتباعه، ويعرّفهم الباطل ويحذّرهم منه. فأوجد لهم الرسول الصّادق الأمين–صلّى الله عليه وسلّم– وعلى السالك أن يميّز الرّسول عن بقيّة الخلق. ويعرف أنّه الباب إلى الله تعالى، وأنّه بشر، وأنّه أشرف خلق الله وأعلاهم في جميع الأحوال».

أمّا أصول معرفة الرسول — صلّى الله عليه وسلّم– فهي ثلاثة بحسب الأمير السيّد (ق.): «يعرف أنّه بأمر الله تعالى نطق، ومن عند الله بُعِث، وإلى الله دعا.»[٢٩]

العبادة

نختتم هذا الفصل مع ما أورده الأمير السيّد (ق.) عن العبادة في مؤلّفه سبل الخيرات، بحيث ترد كلماته، كما البوصلة لكلّ مُريدٍ للحقّ، بغض النّظر عن المذهب الدّيني الذي يتبعه. هنا أيضًا يثبت السّيد مرة أخرى أن تفسيراته وشروحاته تصبّ في خانة التقارب المذهبي، وتوحيد الصف في دين الإسلام.

٢٩– فؤاد أبو زكي، **السيّد الأمير جمال الدين عبدالله التنوخي**، بقعاتا الشوف، معرض الشوف الدائم للكتاب، ٢٠٢٢، ٤٣٧، ٤٣٨.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 48 7/13/2023 11:05:44 AM

قال في أمر العبادة: «اعلم وفّقك الله وإيّانا أنّ العبادة أولها علم، وأوسطها عمل وآخرها موهبة. فالعلم يكشفُ المُراد، والعمل يعين على الوصول إلى المطلوب، والموهبة غاية الأمل. وعلى السالك أن يعلم، أنّ ثمرة العلم العمل، وثمرة العمل الطّاعة، وثمرة الطّاعة العبادة، وثمرة العبادة المعرفة، وثمرة المعرفة المشاهدة».

هنا يأتي الأمير التنّوخي على تعريف المشاهدة للحضرة الإلهية: «إنّها نظرة روحانيّة، وجود بغير تحديد غاية، وتنزيه بغير تعديد ولا نهاية، لأنه سبحانه لا شريك له، ولا مثيل له، ولا نظير ولا ضدّ، ولا كفوء، ولا عديل له. موصوف بما وصف به نفسه، مسمّى بما سمّى به قدسَه. واحد أحد فرد صمد. ليس بجسم ولا بجوهر ولا بعرض، لأنّ الجسم مؤلّف، وما كان تأليفًا يحتاج ما يألف بغلفه، والله تعالى خالق كلّ جامع ومتحيّز. والعرض له زمانان، والله دائم البقاء وواجب الوجود، لا تفريق له، لا يشغله شان عن شان، ولا يزعجه ذكر، ولا يلحقه فكر، ولا تكفيه العبارات، ولا تحوط به الأفكار، ولا تدركه البصائر والأبصار وهو الحيّ القيّوم».

يستطرد الأمير في سرده عن الحضرة الإلهية جلّ جلالها فيقول: «إن قلت متى كان؟ فقد سبق الوقت كونه. وإن قلت كيف؟ فقد احتجب عن الوصف ذاته. أو قلت أين؟ فقد تقدّم الكون وجوده. علّة كلّ شيء صنعه، ولا علّةً لصنعه. ليس لذاته تكييف، ولا لفعله تكليف. ليس ذاته كالذوات، ولا صفاته كالصِّفات، فإنّ العقل ليس له درك معالم الربوبيّة، وإن كانت آلة لدرك العبوديّة.»[٣٠]

٣٠- فؤاد أبو زكي، **السيّد الأمير جمال الدين عبدالله التنوخي**، بقعاتا الشوف، معرض الشوف الدائم للكتاب، ٢٠٢٢، ٤٥٧– ٤٥٩.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 49 7/13/2023 11:05:45 AM

المبحث الثاني

jamaleddine updated 26 june 23.indd 51 7/13/2023 11:05:45 AM

رحلة الأمير السيّد في رحاب الإسلام

بعد أن تناولنا في الفصل الأول حياة الأمير السيّد (ق.)، وبعضًا من آثاره ومآثره بما يمكن وصفه بالمختصر المفيد؛ سنُعالج في الفصل الثاني اجتهاده حول التقارب المذهبي في دين الإسلام من خلال نهجه وتوصياته وأدعيته وتفسيراته، وذلك في المبحث الثاني، بعد أن نورد ماهيّة التقارب المذهبي كمفهوم، ودوره في المجتمع ضمن المبحث الأول.

أولًا، التقارب المذهبي (ماهيّته - دوره في المجتمع)

إن كان التقارب المذهبي وسيلةً، فذلك من أجلِ الوصول لنتيجة — غاية- محقّة. أمّا تحقيق النتيجة تلك، فيحتاج للعودة إلى كُنه أسبابها، فإن كانت الغاية هي الإسلام الحقّ والتوحيد الحقيقي لعموم المسلمين، فالتباين الواقع بينهم يعود لتباين التفسيرات أو تعددها، بحيث نتج عن ذلك مذاهب ومدارس إسلامية مختلفة. لكنّ هذا لا يُفسد في الودّ قضيّة، ما دامت المذاهب الإسلامية لا تحيد عن جوهر الدّين الإسلامي، كمسألة التوحيد والإيمان الحقّ في كتاب الله والأنبياء، واليوم الآخر، والالتزام بالفرائض الدينية.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 53 7/13/2023 11:05:45 AM

يتعذّر وجود تفسير أو تعريف واحد متّفق عليه لمفهوم التقارب المذهبي بين المفكّرين وعلماء الدّين أو عند الباحثين في مجال الأديان والعقائد الايديولوجية. منهم مَن اعتبر أنّ عمر التقارب بين المذاهب من عمر قيامتها وبدء انتشارها في الأمة الإسلاميّة؛ في حين أنّ آخرين اعتبروا بأنّ التقارب المذهبي هو مفهوم عصري وحديث لم يناقش سابقًا، أو لم تتوافر الفرصة للبحث أو التباحث فيه، بسبب أنّ العلماء والقيّمين على المذاهب الإسلامية في تلك العصور كانوا منشغلين في النزاعات السياسيّة حول الحكم، وإثبات الحجّة الدينيّة على صحّة مذهبهم دون المذاهب الأخرى.

إذا أردنا أن نعرّف مفهوم «التقريب بين المذاهب الإسلامية» على اعتبار أنّه مفهوم حديث، فيمكن القول بأنّه من المفاهيم الحديثة نسبيًا التي ظهرت في العصور المتأخرة بين المسلمين، وجاء زخمها الرئيسي الأول في مرحلة مواجهة الاستعمار الغربي، حين دفعت المدرسة الإصلاحية المبكّرة باتجاه الحوار والتقارب المذهبي[٣١]، وهنالك عوامل أساسيّة مؤثرة في التقارب المذهبي وهي كالآتي:

عامل العقيدة الخاصة بكلّ مذهب

هذا أحد أهم العوامل التي قد تؤدّي إلى التباعد بين المذاهب الإسلامية، بحيث أنّها حتى لو اتفقت جميعها على المسائل الأساسيّة في الإسلام كمسألة معجزة القرآن ونبوة محمّد إلّا أنّها

٣١- محمّد أبو رمان، «التقارب المذهبي»، مقال على موقع الجزيرة دوت نت، ٢٠٠٨/٠٢/٢٠م.، www.aljzeera.net.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 54 7/13/2023 11:05:45 AM

تختلف ولا شكّ فيما بينها، في مسائل تفسير آيات القرآن كما الحديث الشريف، بالإضافة إلى الاختلاف في مسائل عديدة، منها الخلافة والإمامة التي تصل لحدّ التكفير بين أهل المذاهب الإسلامية المختلفة. فالتباين في أمر العقيدة كان قد ساهم عبر التاريخ في تأجيج الفتن بين الطوائف الإسلامية. وصعّب مسألة التقارب المذهبي كذلك، الأمر الّذي احتاج إلى جهد كبير من العلماء المسلمين للتخفيف من حدّة هذا الواقع. وكان للأمير موضوع هذا البحث، دورٌ رائد في عصره في بسط العدل على رعيته، وأهل أمّته من مختلف الملل، حيث ساوى بينهم بالحقّ، فكان له المقام الرفيع، ليس فقط بين مختلف الفرق الإسلامية، بل أيضًا على مستوى الأديان الأخرى –كالمسيحية مثلًا– في بلاد الشام.

العوامل الاجتماعية

قد لا يرى البعض في العامل الاجتماعي أيًّا مِن العوامل التي تؤثر سلبًا في عملية التقارب المذهبي، خاصة في الإسلام بعد أن أُنزِل كتاب الله العزيز، وبعث برسوله رحمةً للعالمين، وينشر العدل والمساواة. نالت المرأة على سبيل المثال حقوقًا كانت ضائعةً قبل بعثه، الأمر الّذي أسّس لحياة زوجية مستقرة سليمة وفق الشريعة الإسلامية والسنّة الشريفة... لكنّ الأمر ليس بهذه السهولة، فعلينا ألّا ننسى أنّ للمذاهب الإسلامية المتعدّدة قوانين دينيّة وضعيّة، تطورت مع مرور الوقت، وفق اجتهادات وتفسيرات لآيات القرآن الكريم والحديث الشريف، الأمر الّذي فرض تباعدًا ما بين المذاهب.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 55 7/13/2023 11:05:45 AM

في الزواج على سبيل المثال لا الحصر، هناك فرق إسلامية لا تقبل بتعدّد الزوجات، كما وترفض قطعًا الزواج المختلط، وهذا هو حال مذهب المسلمين الموحّدين، وهو مسلك الأمير السيّد جمال الدّين عبد الله التنوخي، الّذي أكّد المؤكّد للموحّدين (بني معروف)، مشترطًا عليهم من جملة ما كتب في مسألة الزواج، ارتباط الموحد بالموحّدة حصرًا — وفق قاعدة الرضى لا الإكراه بين الطرفين– كما وجوب الابتعاد عن الزواج المختلط الأمر الّذي يرى له أبعادًا دينيّة واجتماعية على حدّ سواء.

بالتالي، إذا ما قوربت مسائل الزواج بظاهرها فقد تدفع بالأمم إلى التنافر والتباعد، ليبرز هنا دور المرجعيات الدينية والفقهاء أو»العقّال» في مسلك التوحيد، لكي يشرحوا هذه المسألة، بكثير من العقلانية والمنطق، فتسهل عملية تقبلها من قبل شباب عالمنا الحديث والمعاصر، فيقرأونها لهم بما يتماهى مع وعيهم وثقافة وجودهم، ويحثّونهم على التقارب من الآخرين، أكانوا مسلمين أو غير ذلك، لكن ضمن حدود المحافظة على الهُويّة المجتمعيّة الدينيّة المتوارثة.

لقد أعطينا مثال الزواج لأنّه أحد أهم الأمثلة على الصعيد الاجتماعي، الّذي قد يقود إلى نزاعات عقيمة، وانقسامات عمودية بين أهل الملل المتعدّدة، في حال لم يقارب بلغة العقل والمنطق والحجّة والبرهان. هذه مسألة تحتاج إلى التزام عن قناعة لا عن تعصّب وتزمّت.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 56 7/13/2023 11:05:45 AM

العوامل السياسية

لا شكّ أنّ العامل السياسي عامل مؤثّر ورئيس في مسألة التقارب المذهبي، خاصة بعد الاتّهامات التي وجّهت على مرّ التاريخ للسياسة، كمجال عمل على مستوى الشأن العام، بأنّه مسار تفرقة وشرذمة، وأنّه عمل يستغل الدين لصالح تحقيق مآرب زمنيّة للحكام على حساب الأديان، وهي وجهة نظر لا يوافق عليها كثيرون إلّا أنّها منتشرة في أوساط الدول والأمّم، وأدّت لخلافات السياسية، كذلك إلى تعدّد المدارس الدينية الرئيسيّة في الدّيانة الإسلامية. لعبت السّلطة السياسيّة أيضًا على وترِ هذه الخِلافات، وحاولت بصورة دائمة توظيفها في سياق منح مشروعيّة للسلطة، أو نزع مشروعيّة عن الخصوم السياسيين لها.

وفي حال أردنا البحث في الحقبة التي تلت وفاة الرسول، فلا غروَ أنّ دور السياسة برزَ جليًّا في سقيفة بني ساعدة، يوم أراد المسلمون تعيين خليفة على المسلمين، فكانت من نصيب أبي بكر الصدّيق(ر.) لا عليّ بن أبي طالب (ر.) ونتج عن ذلك فيما بعد حروب عديدة أبرزُها حرب الجمل، وموقعة صفّين، ومن ثمّ كربلاء واستمرّت الفتنة تلاقي طريقها في الأمّة الإسلامية.

في الحقبة التي تلت مرحلة حكم الخلفاء الراشدين، أخذ التباعد بين المذاهب يكبر أكثر فأكثر، خاصة بعد معركة صفّين وظهور فرقة الخوارج كما انتشار مذاهب التصوف كالمعتزلة والأشاعرة وغيرهما، وما تلا استشهاد الإمام عليّ (ر.) من حروب ونزاعات على الخلافة

jamaleddine updated 26 june 23.indd 57 7/13/2023 11:05:45 AM

بين السنّة والشيعة وتعدّد المذاهب الباطنية كالزيديّة والإسماعيليّة والحشاشين وغيرهم، وهو الأمر الّذي صعّب عملية الانصهار الإسلامي من جديد بين الفرق المختلفة، وكلّ هذا هو تحقيق لمشيئةِ الخالق في خلقه سبحانه وتعالى، حيث جاء في كتابه العزيز: **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}** [هود، ١١٨].

أمّا في حقبة العصر الحديث، وخاصةً بعد الحربين العالميتين اللّتين قلّصتا من تأثير دور الطائفة السنية على الأمّة العربية، فأخذت الأقليات بالظهور بحيث تربّع بعضها على عرش الأنظمة والدول. ثمّ أتت الثورة الإيرانية لترسِّخ الشرخَ الشاسعَ بينَ المذاهِب الإسلامية، وخاصة بين الشيعة والسنة، بحيث تكرّس الفكر الصفوي من خلال نشر رؤية دينيّة إسلاميّة شيعيّة، عُرِفت باسم «ولاية الفقيه» مركزها إيران؛ يقابلها فكر سلفي «سُنّي» مركزه المملكة العربية السعوديّة. أمّا نظريّة «ولاية الفقيه» فتقوم على قاعدة نظريّة النيابة العامّة عن الإمام المهديّ، والمرتكزة بدورها على نظرية الإمامة الإلهية، منحت الإمام صلاحيات خاصة وليس الأمّة جمعاء، بحيث أصبحَ للفقيه صلاحيات الإمام المعصوم والنبيّ الأعظم، كما أصبح الفقيه منصّبًا ومعيّنًا من قبل الإمام المهدي، ونائبًا عنه أيضًا، كما كان الإمام منصّبًا من قبل الله تعالى. بالتالي فإنّه قد أصبح في وضع مقدّس لا يحقّ للأمّة أن تعارضه، أو تنتقده، أو تعصي أوامِرَه أو تخلَع طاعته، أو تنقُضَ حكمه[٣٢].

٣٢- أحمد الكاتب، **تطوّر الفكر السياسي الشيعي من الشّورى إلى ولاية الفقيه**، بيروت، دار الجديد، ١٩٩٨م.، ١٤.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 58 7/13/2023 11:05:45 AM

إنّ المثال السني – الشيعي هو حالة من حالات الانقسام المذهبي الجوهري، بحيث يؤكّد استحالة انصهار المذاهب داخل الأمّة الإسلامية، لكنّ هذا الاختلاف يجب ألا يقود إلى الخلاف. وقد لعبت السلطة السياسيّة على وتر هذه الخلافات، وحاولت بصورةٍ دائمة توظيفها في سياقِ مَنحِ مشروعيّة للسلطة أو نزع مشروعيّة عن الخصوم السياسيين لها.

لم يكن، في التاريخ الإسلامي سؤال التقريب بين المذاهب الإسلامية مطروحًا في المجال السياسي، بل كانت العلاقة تتسم بالصراع والأزمة المستمرة أو المكبوتة، وكان التيار الأكبر من الفقهاء وعلماء الشريعة، منخرطين في هذا الصراع ومقارعة الطرف الآخر، خاصة بين قبيلتي الإسلام السياسي (السنّة والشيعة). تلعب «السياسة» دورًا مهمًّا وحيويًّا في تعميق أزمة الحوار بين المذاهب الإسلامية، كما الحيلولة دون بناء تيار إسلامي عام يقدم «الوحدة الإسلامية» على الخلافات المذهبية، هذا من ناحية، لكنّ السياسة عينها قادرة أن تلعب دورًا بنيويًّا مختلفًا تمامًا في تخفيف حِدّة الاحتقان المذهبي والطائفي، والدفع بالمذاهب وعلمائها إلى التصالح والتفاهم، وتصفية الحسابات بلغة الحوار والعقل [٣٣].

العوامل الاقتصادية

لا تأثير مباشرٌ للعامل الاقتصادي –أكان سلبيًا أم إيجابيًا– في مسألة التباعد أو التقارب بين الأديان عمومًا، والمذاهب الإسلامية

٣٣ محمّد أبو رمان، «التقارب المذهبي»، مقال على موقع الجزيرة دوت نت، ٢٠٠٨/٠٢/٢٠م.، www.aljzeera.net.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 59 7/13/2023 11:05:45 AM

خصوصًا ذلك في حال أردنا مقابلته بالعوامل الاجتماعية والسياسيّة أو العقيدة حتى، بالرّغم من أنّ الاقتصاد يفعل فعله في المستويات الحياتية كافة. فلا حياةَ أسريّة سليمة ولا أوضاع سياسيّة مستقرة في حال تردّي الأحوال الاقتصادية، وهذا عاملٌ عام ليس خاصًا في أي فئة أو طائفة من الفِرق الدينية المتعدّدة.

دور التقارب المذهبي

في زمن الفتن والصراعات الآدميّة الزمنيّة الماديّة منها والاجتماعية، حيث استفحلت النزاعات الطائفية، وساد التعصّب والتزمّت بين المسلمين في مختلف الدول العربية، خاصة تلك التي تعاني من حروب وعدم استقرار سياسي؛ يأتي التقارب المذهبي ليلعبَ دورَ الإطفائي بينَ أهلِ الأمّة الإسلاميّة جمعاء، بحيث يُحتِّم على العُلماء والمفكّرين كما الباحثين في الأديان، البحث في نقاط تجمع لا تبعّد. نقاط تزيد من التعاضد والإخاء بين الفرق الإسلاميّة، وتنبذ كلّ أصوات الشرذمة، التقوقع والانغلاق. إنّ الالتزام بالهويّة المذهبيّة أمرٌ خيِّر لا شرَّ فيه، بحيث أنّ تعدد الهويّات المذهبية في الدين الإسلامي يعكُس مشيئة الخالق سبحانه وتعالى في خلقه، إلّا أنّ التعصّب والتزمّت لمذهبٍ ما، أو نبذ كلّ ما هو مغاير، لهو أمرٌ فيه من الشرّ ما يجرِّد البشر من آدميتهم.

خلاصة المبحث

عوامل عدّة تؤثر في عمليّة التقارب المذهبي كما ذُكِرَ آنفًا في هذا المبحث، بحيث وَضُحَت أهميّة وجوب التقارب بين المذاهب

jamaleddine updated 26 june 23.indd 60 7/13/2023 11:05:45 AM

في أمّة الإسلام بغضّ النظر عن بعض الاختلافات من أجل استعادة أمجاد الحضارة العربية، التي أهدت عالم الغرب المعرفة في مختلف مجالات العلم، بعدما كان الأخير غارقًا في عصر الظُلمات.

لا شكّ أنّ الخلافات بين المذاهب هي خلافات فِقهيّة لا ريب في ذلك، بحيث أنّ الخلافات الفِقهيّة والفكريّة واضحة بين مختلف المذاهب الإسلامية. لا تكمن الاختلافات فقط بين المذاهب المتعدّدة، لكن ربما بين علماء المذهب الواحد أيضًا، لاسيما في بعض الأحيان عندما يقع الاختلاف على تناول بعض المفاهيم، أو بعض التفسيرات والتأويلات للآيات المقدّسة والحديث الشريف، بحيث أنّ العقيدة مكوّنة من أصول وفروع. فالأصل أو الجوهر لا شكّ ولا لبس فيه، إنّما التباين يقع في الفرع لجهّة العقيدة الدينيّة. إنّ مسألة الثوابت والأصول المتمثلة مثلًا بالتوحيد، النبوّة، الميعاد، إقامة الصلاة، إيتاء الزّكاة، الحج، والصوم، كلّها أمور وُضعت كمعالم أساسية في الدّين ليكون بها المسلم مسلّمًا؛ أمّا مسائل الفروع فنأخذ على سبيل المثال صفات الله عزّ وجلّ، الجبر والاختيار، القدر، الوعد والوعيد وغيرها من المسائل التي طرحها وتناقش بها العلماء بالإضافة الى المفكّرين المتديّنين.

ونختم هذا المبحث بحديث شريف يؤكّد على أهميّة التقارب المذهبي وذلك حين سأل المقداد (ر.) الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام: «وما دار الهدنة؟» قال الرسول: دارُ بلاغٍ وانقطاع، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع اللّيل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنه

jamaleddine updated 26 june 23.indd 61 7/13/2023 11:05:45 AM

شافع مشفّع وماحل مصدّق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار. وهو الدليل يدل على خير سبيل. وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل. هو الفصل ليس بالهزل. له ظهر وبطن. فظاهره حُكم، وباطنه عِلم. ظاهره أنيق، وباطنه عميق. له نجوم وعلى نجومه نجوم. لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه. فيه مصابيح الهدى، ومنارة الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصّفة.[٣٤]

ثانيًا، جهود الأمير في التقارب بين المذاهب الإسلامية

في هذا المبحث الأخير من الفصل الثاني، يشيرُ البحث مباشرةً إلى الأدّلة الدامغة الفكرية والعقائدية التي لدى الأمير السيّد (ق.)، والتي تؤكّد جهوده في عمليّة الربط والتقارب بين المذاهب الإسلامية كافة على اختلافها، وذلك من خلال الإشارة إلى إرشاداته وتوجيهاته، كما المنهج الّذي أوصى بسلوكه بعد أن التزم به وطبّقه على نفسه حَرفيًّا.

في هذا المبحث سنذكر موقفه من التعليم، نواهيه، أوامره، أحكامه العادلة، بالإضافة إلى قصصٍ مثبتة تكرّس كراماته، خصاله وأقواله، مع شرحٍ لبعض المفاهيم والكلمات أو الآيات، كما قدّم لها قدّس الله سرّه. فتكون جهوده موزّعة على مستوى مجمل العوامل المؤثّرة في مسألة التقارب المذهبي، والتي ذكرناها في المذهب الأول من هذا الفصل.

٣٤- الشيخ الكليني، كتاب الكافي، قمّ، مطبعة الخيام، ١٩٨٣، ٥٩٩.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 62 7/13/2023 11:05:45 AM

أ. تعميم التعليم

فرض الأمير السيّد (ق.) التعليم المجاني في إمارة الغرب (دون التمييز بين الطوائف)، وعمّمها على جميع البلدات والقرى التابعة لإمامته، كما أمر تلاميذه العرفانيين أن يعلّم كلّ واحد منهم –كلٌّ في قريته– الأمّيين والأميات، كبارًا وصغارًا، أصول القراءة والكتابة، وأن يشرحوا لهم معاني كلام الله في كتابه العزيز وأحاديث رسوله الكريم. كان يدعو دومًا إلى قراءة الكتاب الكريم وحفظه عن ظهر قلب، كما القيام بأركان دعائم الإسلام، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والابتعاد عن المال المشبوه، وتجنّب أبواب الحكّام الظالمين.

ب. أوامره

بالإضافة إلى نواهيه الكثيرة، كان للسيّد عبد الله (ق.) أوامِرَ صارِمة واضِحة، ومنها أن تُغلَقَ أبوابُ الذِكر على مرتكبي الزنى والقتل، حتى يتوبوا توبةً نصوحة، والتوبة النصوحة هي التوبة التي لا رجوع عنها، وتتأكد لعموم النّاس؛ إنّ مثل هذه العبارة بالذّات لا شكّ تؤكد إيمان الأمير السيّد (ق.) بالعدل الإلهي، ومسألة الغفران، وأن باب التوبة مفتوح دائمًا، عملًا بِما جاء في كتاب الله العزيز: **{وما كان الله ليضيّع إيمانكم}** [البقرة، ١٤٣]. أمر الأمير أيضًا باعتماد المعاملة الحسنة في الشراء والبيع بين الناس. شدّد على انقطاع مناداة الميّت، ونواح النساء في المآتم، لأنّها من العادات القبيحة المستنكرة. كما شدد في أوامره على تجنّب قراءة الآيات الكريمة وعدم نشرها إلّا عند المؤمنين الكرام، وأن تمنع عن اللّئام.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 63 7/13/2023 11:05:45 AM

كما أمر بزواج الخيّرات للخيّرين والصالحات للصالحين عملًا بقوله تعالى: **{وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ }** [البقرة، ٢٦]. فرض ألّا تتزوج البنت إلّا برضاها ورِضى وليّها، وألا يُزوَّجَ الشّاب قبل بلوغه سن العشرين، والبنتُ إلّا بعد بلوغها بعامين؛ كما فرض على الوالدين تعليم أولادهما الذكور منهم والإناث دون تمييز.

تجدر الإشارة إلى أن الناس ائتمروا بأمره وأخذوا بنواهيه، وأطاعوه فيما أمر ونهى؛ تقيّدوا بتعاليمه ومبادئه، وامتثلوا لتوجيهاته. وزّعت الأوامر والنواهي، وأذيعت في جميع البلاد، كما قرئت في مجالس الذكر والجوامع.

ج. نواهيه

نهى الأمير جمال الدّين (ق.) عن الكذب وقول الزور والبهتان والغِيبة والهزل والمزاح، والقسَم بالكليّة والسرقة. نهى عن ارتكاب الزنى، والقتل المتعمّد. نهى أيضًا عن عصر العنب خمرًا وشربه، عملًا بما أورده الكتاب العزيز: **{إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رِجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلّكم تفلحون}** [المائدة، ٩]. وشدّد بنهيه عن التعاطي بالرِّبا، والتعلّق بأشغال الحُكّام وقبول أعطياتهم، كما التعامل بأموالهم لغلبة الحرام عليها، ذاك لأنها مجباة قهرًا وعسفًا؛ كما حرّم التعامل مع خدمهم وحشمهم، والأخذ من أموال الأوقاف من غير شرط الواقف، كذلك حرّم الأكل من ريعِ الأراضي الموقوفة.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 64 7/13/2023 11:05:45 AM

ومن الجدير ذكره ايضًا أنّه نهى الإنسان عن لِبس الثوب الغالي الثمن، وحض على لبس الثوب الرخيص الثمن، وألا يمكّن المرء نفسه من حزنٍ على فائت من أمور الدنيا، ولا من حزن على موت من مات، ولا لرزق قد فُقد، ولا يمكّن منها غضبًا.. ولا يمكِّن لعينه النظر إلى المحرّمات، ولا لأذنه سماع المغنيّات، وسماع البِدع، ولا للسانه الخوض في الباطل أو ذكر مساوئ النّاس، ولا ليده تناول المال الحرام، ولا كتابة ما لا يجوز النطق به، ولا لرجله أن يسعى بها إلى باب سلطان جائر، أو ارتكاب جريمة، أو سرقة أموال الناس، وغير ذلك.

ختامًا، في ما خصّ نواهي السيّد عبد الله التنوخي (ق.) فمِن الواجب قوله إنّ المؤرِّخين كافة أجمعوا على أنّ الأمير ما كان ليأمُر بشيء حتى يمتثله، ولا ينهى عن شيء حتى يتجنّبه. من الزّهاد والأئمة الّذين كان يتمثّل الأمير بأخبارهم، ويحذو حذوهم في مجالسه وفي مسلكه، الإمام الفقيه عبد الرحمن الأوزاعي كما كان يحدّث بأخبار مالك بن دينار، وحاتم الأصم وأشباههم في الأحكام والوعظ والورع والزهد.[٣٥]

نهى الأمير السيّد عن المنّة في الصدقة أو إلحاقها بالأذى للمتصدّق عليه، معتبرًا أنّه لا يجوز أبدًا المساس بكرامته؛ وبأنّ المحروم مخلوق مثل جميع خلائق الله، قد يكون قريب التأثر سريع الانفعال فليس من الإنسانيّة أن يزاد في بؤسه بالانتقاص من

٣٥- فؤاد أبو زكي، **السيّد الأمير جمال الدين عبدالله التنوخي**، بقعاتا الشوف، معرض الشوف الدائم للكتاب، ٢٠٠٢، ١٩٩٧، ٢٩١.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 65 7/13/2023 11:05:45 AM

كرامته. حيث ورد في الآية المقدّسة: {**يا أيّها الّذين آمنوا، لا تبطلوا صدقاتكم بالمَنِّ والأذى**} [البقرة: ٢٦٤].[٣٦]

د. أحكام السيّد الأمير وعدله

اتّصف السيّد الأمير (ق.) بالعدل وصحّة الأحكام، وإنصاف المظلوم، وقهر الظالم، وإعطاء كلّ ذي حقٍّ حقّه، من غير ممالأة أو مُحاباة، أكان لأميرٍ كبيرٍ مِن أقربائِه أم حتى من غيرِهم، أو كان شيخًا قديرًا، أو موسرًا ذا سطوة وجاه، أو فقيرًا ذليلًا، أو لصًّا حقيرًا. الحقّ للجميع، والعدل فوق الجميع. والكلّ عنده سواسيّة في كفّتي ميزان الحقّ والإنصاف.

تسامعت الناس بعدله فقصدته من كل الأماكن، من جيرة صفد إلى أطراف حلب، إلى حدود طرابلس إلى الشوف وبعلبك حتى أطراف دمشق كيما تحتكم إليه.[٣٧]

هـ.أهم القصص التي تثبت كرامات الأمير السيّد

١. قصّة تلميذ السيّد الكبير الذي اعتدى على صاحب كَرْم

يُحكى أنّه كان للأمير السيّد تلميذ كبير من كبار بعض القرى، الّذي كان يتمتع بالقوة والسطوة في محيطه، وله من الوقار بحيث

٣٦- يوسف ابراهيم يزبك، **وليّ من لبنان سيرة العارف بالله الأمير جمال الدين عبدالله التنّوخي**، بقعاتا الشوف، معرض الشوف الدائم للكتاب، ط ٤، ٢٠٠٤، ٦٤.

٣٧- فؤاد أبو زكي، **السيّد الأمير جمال الدين عبدالله التنوخي**، بقعاتا الشوف، معرض الشوف الدائم للكتاب، ٢٠٠٢، ٢٩٥.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 66 7/13/2023 11:05:45 AM

كانت تنقاد إليه الناس، وتحسب له ألف حساب. كان لذاك الشيخ كَرمُ عنبٍ مجاورٌ لكرمِ شخصٍ رديء السُّمعة، فاسد الخصال.

ذات يوم أرسل الشيخ التلميذ جماعة من العمال للاهتمام بكرمه وتشذيبه، فجعل العمّال قضبان الدوالي في حقل ذاك الرجل السيّئ السمعة؛ ولمّا رآها هذا الأخير في أرضه عاد ورماها إلى أرض الشيخ مبعثرة على طول الكرم، فاستعظم الشيخ الأمر وما هان عليه فعل جاره ذاك. إدّعى عليه لدى حاكِم الناحية، فقُبِضَ عليه وضُرِبَ ضربًا مُبرحًا، كما أخذ منه الشيخ بالقوة مبلغ خمسماية درهم، وأطلق بعد ذلك. شكا الرجل همّه للنّاس سابًّا للشيخ وفعله، طالبًا تحقيق العدالة وأخذ الحقّ من الظالمين. عرف الشيخ بتهجمّات جاره وغضب من كلامه، وأقسم بالله ألا يُساكن الرجل في بلده أبدًا ما عاش، وما كان من الرجل الضعيف إلّا أن رحل عن البلدة مصطحبًا عائلته، تاركًا أملاكه خلفه إلى قرية أخرى.

بدأ الرجل بسردِ الحادثة على الملأ معلنًا مظلوميته، فقيل له: «ولِمَ لا تشكوه إلى شيخه الأمير جمال الدين عبد الله، فإنّه ناصر الحقّ». فقال ذاك الرجل: هيهات أن يسمع له كلمة واحدة في حقّه، ومَن هو أنا عنده حتى يأخذ بيدي مثل ذلك الشيخ الّذي هو أعزّ النّاس عنده، وأجَلُّهم لديه قدرًا، وأعلاهم محلًّا، وأرفعهم عنده درجة؟! فقيل له: «أيّها الجاهل! ما عنده كبير على الحقّ ولو كان على نفسه أم على ولده، فالأمير قد فرض الحقّ وكشفه وأعلن به وصرّحه».

jamaleddine updated 26 june 23.indd 67 7/13/2023 11:05:46 AM

ما كان من الرجل إلّا أن زار الأمير شاكيًا له حاله، فقال السيّد عبد الله بدوره: لا يكون! ذلك غير صحيح. إن ذلك الرجل يحدث منه ما ذكرت». فقال: «تكشّف البيّنة من ذلك». أحضر الأمير الشيخ وأورد على مسمعه شكوى خصمه؛ فاعترف بما قاله وفعله بحقّ جاره. أصدر الأمير حكمه بالعدل: «اعلم أيها الرجل! (مخاطبًا تلميذه الشيخ)، إن كنت ممّن يركن إلينا، أو يقيم معنا، أو يسمع كلامنا، أو يقول بقولنا، فإنّي حكمت عليك، أن تردّ إليه الخمسمائة درهم التي أُخِذت منه بسببك، وهذا الرجل يرجع إلى بلده ويسكن غصبًا عنك. أمّا يمينك أنّك لا تساكنه، فقد افتريت به على نفسك. فإن أحببت أن تحنث وتساكنه، أو توجّه حيث شئت. وإن أحببت مفارقتنا واخترت مرافقة غيرنا، فمانع فيما رسمنا لك به وخالف». التزم الشيخ حكم الأمير السيّد، وأعطى الرجل خمسمائة درهم من ماله، واستبرأ الذَمة منه، وبرّ بيمينه راحلًا إلى قرية مجاورة لبلدته، وعمّر بها مساكن وسكنها، حتى مات بها.[٣٨]

٢. قصّة اللّص الذي سلبه وعاد ليحتكم إليه

ومن الأخبار المتناقلة عن السيّد عبد الله (ق.) أنّ رجلًا كان يخيف السبيل، وكان الأمير عبد الله في أول عمره يسعى في طلب العلم وحده؛ مرّ في مكان مخيف، فصادفه ذاك اللّص، وأخذ منه ما كان معه، وعندما علم اللّص بهوية الأمير التنّوخي أعاد ما أخذه منه معتذرًا.

٣٨- فؤاد أبو زكي، **السيّد الأمير جمال الدين عبدالله التنوخي**، بقعاتا الشوف، معرض الشوف الدائم للكتاب، ٢٠٠٢، ٢٩٨.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 68 7/13/2023 11:05:46 AM

مرّت السنون، وتشاجر ذاك اللص مع ابن عمّه، وكان هذا الأخير يقول بقول الأمير السيّد في أموره. تفاقم بين الأقارب النزاع، وشكا اللّص للناس ظلم ابن عمّه له. فقيل له: «لماذا لا تشكوه إلى الأمير عبد الله، فإنّه لا يرائي أحدًا في الحقّ». فقال اللّص: وكيف لي ذلك، وقد سبق منّي إليه إساءة فيما مضى. وكيف ينصرني على ابن عمّي وهو عنده أعزّ أهل بلده؟!

فقيل له: «يا مغرور، لا يحوّله حال في الحقّ، ولا يغيّره مغيّر، فإنّه يكشف الحقّ جهده ويصرّحه». فما كان من اللّص إلّا أن زار الأمير وقصّ عليه مظلوميته من ابن عمه، فأرسل الأمير خلف الأخير وسمع من الطرفين، فترجّح له أن الحقّ توجّه للّص. أقبل على الرجل ابن عمّ اللّص قائلًا له: «كيف ترضى لنفسك بهذا؟ إنّ الحقّ ظهر له. فأوصل له حقّه. وإلا توجّه حيث شئت، وإن لم توصل له حقّه فلا تعد تدخل إلينا». فقابل الرجل حكم الأمير السيّد بالسمع والطاعة. وانطلق ذاك اللّصُ في أرجاء المعمورة يثني ويشكر أفضال الأمير ويقول: «سبحان مَن ألبسه الوقار.»[٣٩]

٣. قصّة سليمان النصراني

لن يكون مستغربًا أبدًا للباحثين في حياة الأمير عبد الله (ق.) صاحب لقب «وليّ من لبنان»، في حال وجدوا في سيرته المشرّفة وحقيقة توحيده، وثباته على أمر الدّين، أمرًا دفعه لتحصيل أكبر قدر

٣٩- فؤاد أبو زكي، **السيّد الأمير جمال الدين عبد الله التنوخي**، بقعاتا الشوف، معرض الشوف الدائم للكتاب، ٢٠٠٢، ٣٠٠.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 69 7/13/2023 11:05:46 AM

من التقدير والإجلال والطاعة إبّان حياته، كذلك استمر أيضًا لما بعد وفاته. لقد أصبح مكرّمًا ليس فقط لدى الموحّدين (بني معروف) بل لدى المذاهب الإسلامية كافة، وحتى للبعض من الديانة المسيحية أيضًا، حيث يعتبرونه صاحب كرامات ووليًّا صالحًا، والقصّة الآتية لا شكّ ستثبت صحة هذا القول.

بعد وفاة الأمير السيّد ظهرت له كرامات ربّانيّة أظهرَت للنّاس منزلته الروحيّة عند الله تعالى، ومنها ما حصل مع ابن بتاتر النصراني واسمه سليمان يوسف داود كيوان الذي كان يعمل كوكيل لمعمل حرير يملكه رجل اسمه فورتونه برطاليس.

تبدأ الحكاية بعد أن جمع سليمان من أجر عمله مبلغ أربعين ليرة ذهبيّة، وقام بتخبئتها في بيته إلى حين حاجته لها، وعاد ليتفقّدها ذات يوم فما وجدها. اغتمّ كثيرًا، وصودف أن التقى امرأة موحِّدة من بلدته وأخبرها بما جرى معه، فدعته إلى زيارة مقام الأمير السيّد عبد الله في عبيه، شرط «الإيمان والثقة» بطهارة المقام، وما يحتضنه، وبإذنه تعالى سيعود ماله إليه.

غادر سليمان بتاتر متجّهًا إلى عبيه سيرًا على الأقدام في مسير تخطى الثلاث ساعات، وما إن وصل إلى المقام الشريف بعد أن أنهكه التعب، جلس ليستريح فغلب عليه النّوم. يقول سليمان أنّه رأى في منامه شخصًا جليلًا، عليه سِمة الكمال والوقار، يقترب منه قائلًا: «أنت قاصد إليّ، وأنا لن أخيّب قصدك. دراهمك في البيت الفُلاني. موجودةٌ في صرّة صغيرة، أُدخل البيت، ترَ صاحبه وزوجته

jamaleddine updated 26 june 23.indd 70 7/13/2023 11:05:46 AM

يتناولان الطعام، تجاوزهما وعندما تصل إلى الخزانة، تناول صرّتك واخرج دون أن تكلمهما أو يكلّماك». نهض سليمان من نومه مردّدًا: «يا مار الياس!! يا مار الياس!!». هرع إلى بلدته مستبشرًا خيرًا. فور وصوله توجّه إلى بيت قريبه، فوجد الصرّة كاملة، ورأى كلّ ما رأه في حلمه حقيقة ثابتة. ما دفعه إلى أن يفرض على نفسه نذرًا بزيارة مقام السيّد عبد الله مرّة كل سنة، تكريمًا لصاحبه. وما يثبت صحة حكاية سليمان كيوان، هو ما قاله الشيخ حسين فرج عن هذه القصّة بالذات، كما أوردها المؤرخ أبو زكي في كتابه: «كانت هذه القصّة وصلت إلى مسامع سيّدي الوالد (أبي حسين محمود فرج وهو رجل معروف من أعلام بني معروف)، وصودف أن زرت المقام يومًا برفقته، فوجدنا سليمان زائرًا، وقد صار عجوزًا فتعرّفنا إليه، وأخبرنا حكايته كما وصلتنا. وقد اجتمعت به بعد ذلك مرّة أو مرتين، فكان يحدّثني الحديث نفسه دون زيادة أو نقصان».

و. حوارات جرت مع الأمير إبّان إقامته في دمشق

تتعدّد الروايات التي يتناقلها الموحّدون عن الأمير عبد الله (ق.) عندما كان يقطن منطقة الشاغور في دمشق، ومن هذه الأخبار المتناقلة:

١. حكايته مع العالم الفقيه ابن الكسيح

ومما يُروى عنه، أنّه لما دخل على العالِم الفقيه الملقب بابن الكسيح، سأله الأخير عن موطنه وعن أحوال عشيرته قائلًا للسيّد عبد الله (ق.): هل أنتم مسلمون؟! فأجابه الأمير: «كلّنا مسلمون

jamaleddine updated 26 june 23.indd 71 7/13/2023 11:05:46 AM

والحمدُ لله». فسأله الفقيه: وهل تصلّون؟ فأتته إجابة العارف بالله: «ومَن يقوم بغيرِ صلاة». فعند ذلك سأله الفقيه عن كيفية صلاته، فقال الأمير: «أقوم بالأمر وأمشي بالسكينة. أركع بالخشوع وأسجد بالخضوع. أسلِمُ بالنيّة، وأمثِّلُ الجنّة عن يميني والنارُ عن شمالي، وأقول إنّ الله حاضرٌ معي. وإنّي لا أصلّي صلاةً بعدها». فالتفت الفقيه إلى أصحابه وقال: قوموا بنا نعيدُ صلاتنا، فما فينا مَن يصلّي». ومنهم من يروي هذه الحادثة ويقول إنّ الفقيه التفت إلى أصحابه وقال: اذهبوا يا قوم، فصلاتكم باطلة.[٤٠]

٢. ومن الروايات المتناقلة أيضًا

أنّ رجلًا من أهالي دمشق، سأل شيخًا عالمًا من علمائها عن معنى قوله تعالى: **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}** [الإسراء ٨٥]، فماذا يقصد بالروح وأين تذهب بعد مفارقتها لجسد الإنسان؟ أجابه الشيخ العالم قائلًا: اذهب إلى منطقة الشاغور الجوّاني، فهناك يقطن أميرٌ يُدعى عبد الله التنّوخي، ووجه إليه السؤال وعُدّ إليّ بالجواب، ففعل الرجل ما طلب منه الشيخ. ذهب ذلك الرجل الى منزل الأمير السيد فرحّب به، بعد أن أخبره الرجل أنّه سأل ذلك العالم عن الروح فأرسله الى الأمير السيّد لأخذ الإجابة. عند ذاك طلب الأمير من الرجل أن يشتري له ابريقًا من الفخّار وأن يعود إليه. ذهب الرجل وعاد ليقدّم للأمير عبد الله إبريقًا

٤٠- نقلًا عن لسان الشيخ منذر عبد الخالق كاتب ومؤرّخ وشاعر، أستاذ متمرّس في مادّتي اللغة العربية والتاريخ، ذو خبرة وافية في الصرف والنحو وعلم العروض والتواريخ الشعرية، له قصائد ومقالات وأبحاث نُشر بعضها في المجلات، كما أن له حوالي ثلاثمائة تاريخ شعري لأعلام التوحيد في فترة الكشف الأخيرة.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 72 7/13/2023 11:05:46 AM

جديدًا من الفخّار حيث كان للأمير إبريق قديم يضعُه بالقرب منه. أخذ الأمير بيده الإبريق القديم، وأفرغ ماءه في الابريق الجديد، ثمّ رمى إبريقه القديم خارجًا فتحطّم، وعاد بعد ذلك إلى القراءة في كتاب كان أمامه، أمّا الرجل فكان ينظر إليه بدهشة، وبعد أن أطال الانتظار نهض الضيف غاضبًا، وعاد إلى شيخه الدمشقي غير راضٍ عما فعله الأمير، وكيف تجاهل سؤاله وتفادى الإجابة عليه. إلّا أنّ الشيخ سأل الرجل أن يخبره ماذا حدث تمامًا في بيت الأمير عبد الله، فقصّ عليه ما حدث معه في حضرة الأمير السيّد. ابتسم الشيخ وحاول أن يهدِّئ من روع الرجل، ثمّ أخبره بأنّ الأمير أعطاه الإجابة على سؤاله، بما أنّ الأمير مستعينًا بمثل الإبريق أراد للرجل أن يفهم بأنّ الروح مستمرّة خالدة. تنتقل من بدنٍ إلى بدن آخر، كما انتقل الماء من إبريق إلى إبريق دون أي تغيّر أو تبدّل. وذلك بحكمة الله عزّ وجلّ.[٤١] وهكذا كان يعتقد الأمير بخلود الروح وتنقلّها في الأجسام، وأنها لا تترك كثيفًا حتى تحلّ بآخر بلا زمان.

كما ذكر في إحدى المخطوطات رواية أخرى أن الأمير سُئل عن معنى قوله تعالى: **{مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم}** [المجادلة، ٧]، فأجاب: المعيّة هنا، كخيال العبد في المرآة

٤١– مجيد الفطايري، خطاب ألقاه في دمشق بتاريخ ١٩٨٧/٦/٢٩م. نقله عنه المؤرخ فؤاد أبو زكي في كتابه، **الأمير السيّد عبد الله التنّوخي**، بقعاتا الشوف، معرض الشوف الدائم للكتاب، ٢٠٠٢، ٢١٤.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 73 7/13/2023 11:05:46 AM

ما ينفصل عنه طرفة عين، ولا يفارقه، ولا يتحيّز، ولا له ثقل ولا حسّ، كذلك الله تعالى مع العبد، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، فبمقدار الصّفاء في قلب المؤمن وتنقيته وتجريده من الكدورات والأخباث، يكون شعوره بحضور ربّه، لأنّه قال: «لا يسعني شيء، ويسعني قلب مؤمن». فإذا كمل صفاء القلب، وأقبل بكليّته على معرفة ربّه الذي هو موجود معه ولا يفارقه طرفة عين، فحينئذٍ تستغرق صفات الربّ كإشراق نور الشّمس على بلّورة، ويستقرّ العبدُ في مشاهدة الربّ، وتصير تلك المشاهد شُغل القلب، لا يلتفت إلّا إليه، ولا يحنُّ إلى سواه. هذه حقيقة المَعيّة، وبمقدار الدّرجات في الصّفاء والنقاء، تكون اللّذة والسعادة في الدنيا والآخرة.

سئل الأمير السيّد عن قوله تعالى: **{فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ}** [السجدة، ١٤]. فقال: نِسْيَان الله تعالى للعبد يكون بحجبِه عنه بسبب خُبث عمله، فينساه في الهداية والإنعام، ومن معرفة الحلال والحرام، ولا يذكّره بشيء يرتكبه من الخطايا، بل يمهله على طغيانه، ويستدرجه من حيث لا يعلم... كما إنّ العبد مغمور بالإنعام الظاهرة والباطنة، وغارق في نعمة الله سبحانه كغرق الحوت في الماء، فهو لا يخرج، بل هو مغمور بها دائم دهره.

٣. صبر الأمير السيد على فقد ولده عبد الخالق[٤٢]

خطب الأمير السيد (ق.) فتاةً لوحيده الأمير سيف الدّين عبد الخالق من أقربائه، وعيّن يومًا للزفاف. دعا الأقرباء والأصدقاء

٤٢- فؤاد أبو زكي في كتابه، **الأمير السيّد عبد الله التنّوخي**، بقعاتا الشوف، معرض الشوف الدائم للكتاب، ٢٠٠٢، ٢١٥.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 74 7/13/2023 11:05:46 AM

والتلاميذ والمُريدين من عبيه والقرى المجاورة لمشاركته فرحته. خلال العُرس. سَمِعَ العَريس صهيلَ الخيلِ في الإسطبل فترك النَّاس وانحدر مسرعًا ليرى ماذا حدث، وإذ بفرسٍ ترمحه رمحةً قويّة قضَت عليه. طال غيابُ العريس وأخذ المدعوون يسألون عنه ويلّحون بأن يأتي ويأكل معهم بينما والده الأمير يماطلهم ويعدهم بقدومه، ذلك بعد أن علم بما جرى لوحيده، لكنّه آثر كتم الخبر، آسرًا حزنه، صابرًا صبر الأولياء الكبار، كاظمًا دمع الأسى في عينيه. ولما انتهى المدعوون من طعامهم، وقف الوالد الثاكل والأسى بادٍ على محياه وقال بصوتٍ هادئ: «عريسكم قتل في الإسطبل، هلموا إلى فقيدكم هاتوا جثمانه». فانقلبت الأفراح أتراحًا.

انتشر خبرُ وفاة عبد الخالق في إمارة الغرب والمتن والشوف والجرد انتشار النّار في الهشيم، فهرعت النّاس أفواجًا الى عبيه ليلقوا النظرة الأخيرة عليه؛ في هذا الموقف المحزن كان الأمير يتقبّل تعازي المعزين المفجوعين صابرًا لا تُذرفْ له دمعة ولا يضرب كف على كف، بل كان يردّد في قرارة نفسه وعلى مسمع النّاس «الحمد لله... الحمد لله».

وبعد دفن عبد الخالق وقف الأمير (ق.) يتقبّل التعازي وقد جعل من موتِ ولدِه درسًا للمتّقين، وعبرةً للبشرِ أجمعين، بعد أن لبِس لربّه حُلل الطاعة، راضيًا مسلّمًا، معتصمًا بالحقّ اليقين، قائلًا خطبته التاريخيّة الشهيرة: «سُبْحَانَ اللهِ. والحَمْدُ للهِ. ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلّا بِاللهِ. لَهُ البَقَاءُ الدّائِمُ. وَهَو العَالِمُ وَالحَاكِمُ. هُوَ الوَاهِبُ والآخِذُ. وَاَمْرُهُ الحَازِمُ والنّافِذُ. فلَهُ الحَمْدُ عَلَى مَا اَوْلَى. والشُّكْرُ عَلَى مَا اَبْلَى. اَعْطَى

jamaleddine updated 26 june 23.indd 75 7/13/2023 11:05:46 AM

وَمَنَعَ. وَتَكَرَّمَ واَوسَعَ. مِنْهُ الامتِنَانُ. وعَليهِ التُّكْلَانُ.[٤٣] واِلّيهِ الإيمَانُ. هُوَ العَظِيْمُ الجَلِيْلُ. وَاَنَا القَلِيْلُ الذَّلِيْلُ. الوَاقِفُ بِبَابِ الرَّحْمَةِ. الطَّالِبُ مِنَ الكَرِيمِ مَزِيْدَ النِّعْمَةِ. اَسأَلُهُ اَنْ يَحْرُسَنِي فِي ظِلِّ عِنَايَتِهِ بِمَا يَرْضَى. ويَمْنَحَنِي الصَّبرُ عَلَى مَا اَقْضَى. اَنَا العَبْدُ الضَّعِيْفُ وَالحَقِيرُ. الكَثِيرُ الخَطَا. المُتَضَرِّعُ بِشُكْرِهِ والمُنِيْبُ.[٤٤] لِي مَا اَرَى. ولَهُ مَا يُرَى. مُطَاعٌ حُكْمُهُ. مُحِيْطٌ عِلْمُهُ. وَمَمْنُوْعٌ ظُلْمُهُ. وَهْوَ العَزِيزُ الحَكِيْمُ.

وَبَعْدَ دَفْنِهِ وَقَفَ لِلْعَزَاءِ والسَّلَامِ فَقَالَ:

اَيُّهَا النَّاسُ يَطْوِي العُمُرَ الجَدِيْدَانِ.[٤٥] وَلَا فَوْتَ مِنَ المَوْتِ لِإنْسَانِ. وَهَوَى النُّفُوْسِ ظُلْمَةٌ. وَفِعْلُ الإلَهِ حِكْمَةٌ. وَنِسْيَانُ الحَقِّ نِقْمَةٌ. وَمَسَاعِيَ الثَّوابِ هِمَّةٌ. وَلَكُمْ عِنْدَ اللهِ مِنَ الخَيْرِ مَا تَكْنِزُوْنَ. ومِنَ الشَّرِّ مَا تَكْسِبُوْنَ. وَنَحْنُ وإيّاكُمْ فِي قَبْضَةِ مَالِكٍ. وَهْوَ المُنَجِّي بِرَحْمَتِهِ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ. قَبُوْلُ اَوَامِرَ اللهِ طَاعَةٌ وَصَبرٌ. وَالإنَابَةُ الَى رَحْمَتِهِ عِزَّةٌ وَنَصْرٌ. فَطُوْبَى لِمَنْ قَبِلَ اَوَامِرَ اللهِ طَاعَةً. وَجَعَلَ مُدَّةَ الحَيَاةِ سَاعَةً. وَرَكِبَ جَوَادَ القَنَاعَةِ. وَعَلَّقَ فِي الحِكْمَةِ الرَّبَانِيّةِ فِكْرَةً لَمَّاعَةً. وَقَيَدَ النَّفْسَ بِقَيْدِ الوَرَاعَةِ. وَرَفَعَ اَنْوَارَ العَقْلِ فِي دَوَامِ اِخلَاصِ الضَّرَاعَةِ.[٤٦] وَجَعَلَ فِي حَقِّ المَوْتِ اَمَانَةَ الرِّضَى بتَسْلِيْمِ الوَدَاعَةِ. اَيَجُوْزُ اَنْ يَعْتَرِضَ العَبْدُ عَلَى رَبِّهِ فِيْمَا اَبْدَعَ. اَوْ يَحْجُرُ عَلَيْهِ ويَغْضَبَ فِيْ قَبْضِ مَا اَوْدَعَ. اَوْ يَعْصِيَ قَوْلَ اللهِ فِيْمَا اَنْبَأَ بِهِ وَهْوَ يَسْمَعُ. اَوْ

٤٣- التُّكلان: الإعتماد والتّفويض.
٤٤- المنيب: التائب
٤٥- الجديدان: اللّيل النّهار.
٤٦- الضّراعة: الخضوع والتذلّل

jamaleddine updated 26 june 23.indd 76 7/13/2023 11:05:46 AM

يَظُنُّ اَنَّ حُكْمَ اللهِ وَقَدَرَهُ لَهُ قَاهِرٌ وَمَدْفَعٌ. فَجَهِلَ مَنْ غَفُلَ عَنْ آيَاتِ اللهِ الثَّابِتَةِ. وَقَصَّرَ فِي الطّاعَةِ طَرْفَهُ مِنَ الازْمَانِ الفَانِيَةِ. فَلَا بُدَّ مِنْ قِيَامَةٍ يَعْظُمُ حِسَابُهَا. ويَحْرَسُ جَوَابُهَا. وَيُؤَبَّدُ عَذَابُهَا. وَيُمْتَنَعُ بَعْدَ فَوَاتِ الأَعْمَالِ طِلَابُهَا. اَيُّهَا النَّاظِرُوْنَ اِلَيَّ اَتَظُنُّوْنَ اَنَّ صَبْرِي عَلَى القَضَاءِ ضَلَالَةٌ. اَو اَنّي نَسِيْتُ مِنْهُ عِلْمَهُ وَعَزْمَهُ وَاِفْضَالَهُ. وَرِقَّهُ وَصِدْقَهُ وَطَاعَتَهُ وَصَبْرَهُ واحْتِمَالَهُ. وَيَقْظَتَهُ وَهِمَّتَهُ وَرُقِيَّهُ واِجلَالَهُ. وَصِحَّةَ دِينِهِ وَحُسْنَ يَقِينِهِ وَدَوَامَ تَضَرُّعِهِ اِلَى رَبِّهِ فِي الخَلَاصِ بِسَلَامَةِ مَسَاعِيهِ وَسُؤَالِهِ. لَا بَلْ كَانَ وَلَدًا صَالِحًا هِبَةَ الدَّيَّانِ. رَائِقًا[٤٧] حاذِقًا[٤٨] فَرِيْدًا فِي طَبَقَةِ عَنْوَةِ الزَّمَانِ. اَنِيْسَ الوَحْدَةِ. وَمُنْيَةَ غِبْطَةِ رُضْوَانِ المُدَّةِ. تَصَدَّقَ عَلَيَّ وَاَنْعَمَ بِهِ مُنْعِمُ مِنْ فَضْلِهِ. وَقَبَضَهُ بِحُكْمِ عَدْلِهِ. وَسِرِّ حِكْمَتِهِ وَفِعْلِهِ. وَالصَّبْرُ العَظِيْمُ مَطِيَّةُ[٤٩] مَن اتَّقَى. وَالرِّضَى والتَّسْلِيمِ مَنَارَةُ مَنِ اِرْتَقَى. وَالحِكْمَةُ مَالِكُهُ. وَالعَمَلُ سَالِكُهُ. وَالفَوْزُ فِيْ الآخِرَةِ لِمَن فَازَ. وَرَاحَةُ البَلَا[٥٠] صِحَّةُ الِامْتِيَازِ. العِبَادُ بِاَعْمَالِهَا. والآخِرَةُ بِمَن نَالَهَا. بُرْهَانُ آيَاتِ اللهِ حُجَّةٌ. وَسُلُوْكِ سَبِيْلِ الحَقِّ مَحَجَّةٌ[٥١]. اَيُّهَا النَّاسُ خَلَقَكُم وَاَوسَعَكُم نِعْمَةَ بَحْرِ عَطَايَاهُ. وَفَرَضَ عَلَيْكُمُ الحَقَّ وَقَبِلَهُ مِنْكُمْ وارْتَضَاهُ. وَنَهَاكُمْ عَنِ البَاطِلِ وَعَلَّمَكُم مِنْ اَسْمائِهِ بِاَسْبَابِ مَعْرِفَةِ مَعْنَاهُ. وَحَذَّرَكُمْ مِنْ سَخْطِهِ فَوَيْلٌ لِمَنْ عَصَاهُ. فَاَنْتُمْ تُحصَرُوْنَ وَلَا تَحْصِرُوْنَ. وَتُقْتَدَرُوْنَ وَلَا تَقْتَدِرُوْنَ. بَلْ اَنْتُمْ كَسَمَكَةٍ خَلَقَهَا اللهُ

٤٧- رائقا: صافيا
٤٨- حاذقا: ماهرًا
٤٩- المطيّة: الدابة التي تركب.
٥٠- البلا: الاختبار بالخير والشرّ.
٥١- المحجة: جادة الطريق.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 77 7/13/2023 11:05:46 AM

بِإِرَادَتِهِ وَاَعْطَاهَا سَبْعَةَ بِحَارٍ. فَهْيَ تَغُوْصُ وَتَعُوْمُ وَتُرْزَقُ وَلَا يَحُوْطُ لَهَا قَرَارٌ. خَلَقَكُمْ مِنْ غَيْرِ شيءٍ وَغَمَرَكُمْ بِالرَّحْمَةِ. وَتَقَلَكُمْ مِنْ ضِيْقِ الدُّنيَا اِلَى سَعَةِ الفَضَا وَفَسيْحِ النِّعْمَةِ. اَمَا تَرْضَوْنَ بالشَّفُوْقِ الرَّفُوقِ المَلِيءِ بالشَّفَقَةِ وَالرَّأفَةِ. القَادِرِ القَاهِرِ المُعْطِي المَانِعِ الحَاكِمِ بالعَدْلِ والنَّصَفَةِ. اَتَظُنُّوْنَ اَنَّكُمْ اِذَا اعْتَرَضْتُمْ عَلَيْه فِي حُكْمِهِ تَبْلُغُونَ مُرَادَكُمْ. وَتَزْعُمُوْنَ اَنَّكُمُ اِذَا اَهْمَلْتُم طَاعَةَ مَوْلَاكُمْ وَرَكِبْتُم هَوَاكُمْ تُخَلِّصُونَ مِنْ بَلَاكُمْ. فَاَنْتُمْ كَطَيْرٍ مَسْجُوْنٍ فِيْ قَفَصِ الإِرَادَةِ. مُتَحَرِّكٍ فِيْ طَلَبِ هَوَاهُ فَلَا يَجِدُ مَطَارًا وَلَا فِرَارًا وَلَا زِيَادَة. اَيُّهَا النَّاسُ بَلَغَ العَصْرُ آخِرُهُ. وَحَكَمَ فِيْهِ خَالِقُهُ وَقَادِرُهُ. وَعَمَّا قَلِيْلٍ يَظْهَرُ الجَزَاءُ وَيَعرِفُ العَامِلُ عَمَلَهُ. وَلَا يَضِيْعُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ بَيْنَ يَدَي نَاهِيْهِ وَآمِرِهِ. فَيَا فَوْزَ المُتَّقِيْنَ. وَيَا سَعْدَ المُحسِنِيْنَ.»[٥٢]

ز. جهوده في شرح آيات القرآن الكريم والحديث الشريف

في سورة الفاتحة قال: لقد إشتملت هذه السورة بوجه إجماليّ على مقاصد الدّين من توحيد، وتعبّد، وأحكام، ووعدٍ ووعيد. ولهذه المزيّة سميّت أمّ القرآن، وافتتح بها الكتاب المجيد، وأمر النّاس بقراءتها في كلّ صلاة. وهي مقولة على ألسنة العباد لتعليمهم كيف يناجون الباري تعالى ويحمدونه ويتضرعون إليه.[٥٣]

٥٢– الشيخ أبو صالح فرحان سعيد العريضي، **مناقب الأعيان**، منشورات مدرسة الإشراق – عاليه، د.ت. ج١، ٣٣٩.

٥٣ وجدي أمين الجردي، **الرسالة الموسومة بنهر الجمان في شرح غريب آيات القرآن**، أشرف على جمعه ونقله الشيخ أبو صالح فرحان العريضي والقاضي الأستاذ ربيع زهر الدين، منشورات جمعيّة الإشراق الخيريّة – عاليه، د.ت.، ١٤١.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 78 7/13/2023 11:05:46 AM

ويقول السيّد الإمام عبد الله (ق.): «أول الابتداء بالبسملة اقتداءً بالكتاب العزيز. وكلّ أمرٍ ذي بالٍ لا يبدأ فيه بسم الله الرحّمن الرّحيم فهو أبترُ. وفي رواية كلُّ كلامٍ لا يبدأ فيه بالحمدِ لله فهو أجذمُ.»[٥٤]

ويشرحُ الأمير السيّد (ق.) حديث الرسول صلّى الله عليه وسلّم، آية المنافق ثلاث: «إذا حدّثَ كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان». الآية هي العلامة والأمارة، المنافق هو الذي يظهر شيئًا ويخفي في نفسه ضدَّهُ، فالفضائلُ النفسيّة محمودة عند الله تعالى وعند العقول الرّاجحة الزّكيّة، وقد أثنى الله عزّ وجلّ عليها، ووعد المتخلّقين بها وعدًا حسنًا، فمِن تِلك الفضائِل مُطابقة ظاهر الإنسان لِما في باطنه، وموافقَة أقواله وأفعاله لِما يكُنُّه في نفسه، وعلامة هذه الفضيلة منه أنّه إذا حدّث صدّق، وإذا وعدَ وفى، وإذا أؤتمن أدّى الأمانة.[٥٥]

قال محمد بن هلال النحوي: ما عرفت الإسلام الكامل إلّا بعد اجتماعي بأمير الأمراء وسيّد الأسياد الشريف التقيّ النقيّ جمال الدين عبد الله التنوخي، وقاه الله شرّ كلّ نائبة. وسألته عن قوله تعالى:**{الله وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور}** [البقرة، ٢٥٧]. فقال: «أيّ يخرجهم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان. ومن ظلمة المعصية إلى نور الطاعة. ومن ظلمة الغفلة إلى نور اليقظة. ومن ظلمة الشك إلى نور اليقين. ومن ظلمة الحسّ إلى

٥٤- المصدر نفسه، ١٦٣.

٥٥- وجدي أمين الجردي، **الرسالة الموسومة بنهر الجمان في شرح غريب آيات القرأن**، أشرف على جمعه ونقله الشيخ أبو صالح فرحان العريضي والقاضي الأستاذ ربيع زهر الدين، منشورات جمعيّة الإشراق الخيريّة - عاليه، د.ت.، ١٠٦.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 79 7/13/2023 11:05:46 AM

نور المعنى. ومن ظلمة الكون إلى نور المكوّن. ومثاله في تفسير قوله تعالى: **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ}**، فقد ذكر هنا أنّ الدُعاء أهم مقامات العبودية، واستدلّ على ذلك بالأدلة العقليّة والنقليّة، ثم ذكر السّؤال والجواب في كتاب الله تعالى، وبيّن أنواعهما وصورهما، وضرب لهما المثال إلى أن قال: **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ}** [البقرة، ١٨٦] ولم يقُل: «فقل إنّي قريبٌ». فتدلُّ على تعظيم حال الدّعاء من وجوهٍ: الأول كأنّه سبحانه وتعالى يقول: عبدي أنت وإنما تحتاج إلى الواسطة في غير وقت الدُّعاء، أمّا في مقام الدّعاء فلا واسطة بيني وبينك.[٥٦]

ح. خصال الأمير التي ذكرها الشيخ العنداري

ذُكِر في إحدى النسخ، نبذة جامعة مانعة للمرحوم الشيخ بدر الدين العنداري، والتي وصف فيها الأمير السيّد (ق.) والخصال التي تميّز بها، وإذ نسردها لفائدتها على البحث، لناحية التقارب بين المذاهب الإسلامية، وقد كان الشيخ بدر الدين العنداري –رحمه الله تعالى– يعدّ في السيّد الأمير قدس الله روحه، أربعة عشر خصلة بعضها من خصال الأنبياء:

- الأولى أنّه خلق في أكبر بيت من البيوتات.
- الثانية أنه ربي يتيمًا.
- والثالثة أنه كان فقيرًا.

٥٦– المصدر نفسه، ١٣٨.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 80 7/13/2023 11:05:47 AM

- والرابعة إلى السابعة أنّه استفتح عليه وختم الكتاب الكريم، وبلغ الرشد، وأخذ المشيخة في شهر واحد.
- والثامنة والتاسعة أنه كان يفتي حتى في القتل.
- والعاشرة أنّ فكره كان أسبق من قلمه.
- الحادية عشرة أنّه قال: وفي قوى النفوس من فيض الملك القدوس ما لا يفي بشرح معانيه الطروس
- والثانية عشرة أنّه ما شرح شرحًا إلّا عمل به.
- والثالثة عشر أنّه قسّم نهاره ثلاثة أقسام: قسم للتلاوة وقسم للكتابة وقسم لمصالح العباد، وقسّم ليله ثلاثة أقسام: الثُلث الأول للسهر، والثلث الثاني للنوم والراحة، والثلث الثالث للدعاء والاستغفار.
- الرابعة عشر أنه جمع الشواهد على قوله: «وإنجاز ما وعدكم به» وبنى على ذلك كتابين. كما ألّف كتاب «اللغة العرباء» الذي ليس له نظير.[٥٧]

ط. من أقوال الأمير السيّد جمال الدّين

- قال قدس الله روحه: صلاح القلب من ثلاثة أشياء: رفض الدنيا، والرضى بما قسم الله، والاشتغال بطلب العلم للآخرة، ويقال إنّه كان يقول وهو يجود بروحه المباركة: «آمنت بالله وحسبي الله، آمنتُ بالله وحسبي الله».[٥٨]

٥٧- عجاج، نويهض، **سيرة الأمير السيّد وآداب الشيخ الفاضل**، القدس، مطبعة العرب، ط١، ١٩٣٥م.، ٤٦.
٥٨- وجدي أمين الجردي، **الرسالة الموسومة بنهر الجمان في شرح غريب آيات**

jamaleddine updated 26 june 23.indd 81 7/13/2023 11:05:47 AM

- وقال في تحريم الخَمر وكُلّ مسكِر: «ما دام الإنسانُ صحيحَ العقل، صافي الذّهن، أدركَ عواقب الأمور المحمودة والمذمومة، فالخمرُ يصدّي العقل. ويغطّي صورته المميّزة المدركة حقائق الأشياء، ويكدّره ولا يدعه يميّز بين الحسن والقبيح والخير والشرّ».
- البصيرة الباطنة أصدق من البصر الظاهر.
- اجعل العلم مديرك، والوَرع مشيرك، والحلم وزيرك.
- المعرفة أساس الخير جميعه.
- وقال تشجيعًا لطلب العلم الذي كان مهملًا في عصره: إنّ الأب مُلزم بتعليم ولده القرآن والكتابة، ذكرًا كان أم أنثى، وينبغي أن يؤذن له بعد الفراغ من المدرسة أن يلعب لعبًا جميلًا يستريح إليه من تعب الدرس.
- مَن صبر على محن الزمان، أدرك نعيم الجنان.
- مَن لم يترك في الدنيا ما يحب، لم يبلغ في الآخرة إلى أرب.
- مَن لم يصبر على ما يكره، لم يشاهد ما يرضيه في المنقلب.
- مَن آثر في الدنيا طلب الجاه، لم يبلغ في الآخرة ما يتمناه.
- مَن جعل نفسه عرضًا لشهوات الدُّنيا، لم يحصل على لذّة الآخرة.

القرآن، أشرف على جمعه ونقله الشيخ أبو صالح فرحان العريضي والقاضي الأستاذ ربيع زهر الدين، منشورات جمعيّة الإشراق الخيريّة – عاليه، د.ت.، ٤٠– ٤٣.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 82 7/13/2023 11:05:47 AM

- لا تدرك المنازل العالية إلا بالرضى والتسليم، ولا تنال المراتب الغالية إلّا بالتنحّي عن كلّ غوشيٍّ أثيم.
- مَن أراد عزّ الدين والدنيا معًا، كأنه هو والكافر سواء.
- نظر العاقل بفكره وخاطره، ونظر الجاهل بسمعه وناظره.
- مَن ذاق حلاوة الثواب، هان عليه المصاب.
- مَن أيقن بزوال الدُّنيا، لم يبالِ بصولة الأعداء.
- علموا أيها النّاس أنّ مَن فارق أربعةً حظيَ بأربعة: مَن فارق الشيطان حظيّ بشفاعة الرسول، ومن خالف النّفس بلغ المأمول، ومن تَرك الهوى أدرك المحصول، ومن رفض الدّنيا تمّ له الوصول إلى السّول.
- اعلموا أنّ الدنيا ميدان، والأجسام خيل، والنفوس فرسان، والسباق هو إلى الله، فما يلحق بالقوم إلّا من شمّر، ولا يبارز في حلبة السباق إلّا مَن ضّمّر.[٥٩]

ي. من دعائه

اللّهم إليكَ أويت ورضاك نويت، اللهم أنم في طاعتك عيني، وأدِم في رحمتك يقظتي ونومي، واجعل في عبادتك ليلي ويومي. اللّهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بكنفك الذي لا يُضام. اللّهم ارزقني من كرمك وفضلك وعاملني برحمتك، لا بعدلك يا

٥٩- يوسف ابراهيم يزبك، **وليّ من لبنان سيرة العارف بالله**، يطلب من معرض الشوف الدائم للكتاب، ط ٤، ٢٠٠٤، ٩٦-٩٧.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 83 7/13/2023 11:05:47 AM

أرحم الراحمين. أنت مولانا وناصرنا، نِعم المولى ونِعمَ النصير. ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا. ولا تحمل علينا إصرًا، كما حملته على من قبلنا. ربّنا لا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به. أعف عنّا، واغفر لنا، وارحمنا. أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم، إنّي أصبحت عبدك وابن عبدك، معترفًا بألوهيتك، مقرًّا بإمامة وليّك، ونبوءة حدودك، وشرف العدّة السعيدة ونبوّتهم وصحّة توجيههم، وأنّ لا إله غيرك، ولا معبود سواك، وبأخوّة فريق الهدى، وأنّهم الفرقة الناجية، وبحكمة التوحيد أنّها دين الحقّ، وأنها الدّين الناجي، وبالقضاء والقدر أنّه عدل جار منك، وبانتقالات النفوس أنها حكمة بالغة، وبعجوِ[٦٠] نفسي وعظيم ذنبي، قاصدًا بابك الكريم، متوجّهًا إليك بالتوبة على قدر الاستطاعة، طالبًا منك المعونة، بجاه نبيّك ووليّك وصفيِّك، معترفًا بجميل لطفك وسترك وإحسانك، وعظيم فضلك، وجودك وكرمك وامتنانك، وعطفك وعفوك وغفرانك، متوسّلًا إليك بالسيّد العظيم قائم الزمان، وبإخوته الأركان، وآله الأعوان، وحزبه الإخوان، وبإجلال الظهورات الملكوتية في جميع الأعصار والأحيان، أن تغفر لنا ما مضى من الذنوب والعصيان، وتعصِمَنا في ما بقي من الآجال والأزمان، وأنْ لا توآخذنا بسوء نيتنا، وأن تسمح لنا بما سلف من ذنوبنا، وأن تثبّتنا على عبادتك

٦٠- عجو: مصدر عجا. عجا الشيء: أماله. (معجم المعاني الجامع). ويقصد بها ميول النّفس البشريّة.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 84 7/13/2023 11:05:47 AM

وتوحيدك، بجاه نبيّك وحدودك، وأن تزيدنا توحيدًا وتقديسًا من تقديسك، بجاه الأمّة التي أخلصت لنفسك بتجريدك، وأن ترزقنا الرزق الحلال، وسترة الحال، وتوفقنا لصالح الأعمال، وتلحقنا بالأطهار الأبدال، وتدفع عنّا شرّ أهل الضلال، وتختم لنا خاتمة خير في كلّ حال، بجاه نبيّك وصحبه والآل، إنّك أنت العليّ المتعال. أجب دعانا يا مولانا، والحمد لمولانا على كلّ حال.[٦١]

خلاصة المبحث

يوضح هذا المبحث للقارئ جهود الأمير السيّد (ق.) في إرساء الخير بين الأنام، وذلك من خلال نصرته للحقّ في كلّ حال والتشجيع على المعرفة والعلم، كما التبحّر في الدّين والابتعاد عن المحرمات والشهوات التي تؤذي الروح العاقلة والبَدن. إنّ في مثل هذا النهج وتلك التعاليم لا شكّ، دورًا كبيرًا في مسألة التقارب المذهبي في الإسلام، بحيث أنّ نواهي الأمير وتعاليمه وشروحاته لكتاب الله العزيز، وحديث رسوله الأكرم، تؤثّر في الأفراد بغضّ النّظر عن المذهب الذي ينتمون إليه، فكرامات الأمير وجدت طريقها للشيعة والسنّة، كما الموحّدين أهل ملّته، حتى أنّ بعض المسيحيين من سكّان جبل لبنان أقرّوا بكراماته واعتبروا من مسيرته.

٦١- يوسف ابراهيم يزبك، **وليّ من لبنان سيرة العارف بالله**، يطلب من معرض الشوف الدائم للكتاب، ط ٤، ٢٠٠٤، ٩٨.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 85 7/13/2023 11:05:47 AM

الخاتمة

لعب الأمير السيّد (ق.) دورًا مهمًا في عصره وزمانه، لجهّة إحقاق الحقّ بين النّاس، ونصرة الضعفاء والمظلومين، فكان مقصودًا للحكم بينهم، دون أن يكون له أدنى رتبة زمنيّة، وذلك فقط لسمو سيرته ونقاوة مسيرته المشرّفة الناصعة بالطهر والمناقبيّة، كما رفعة تديّنه والتزامه سلوك طريق الخير والمعرفة عن قناعة وإيمان.

لا غروَ إنّ كان للأمير السيّد بين أهل أمّته —الموحّدين– مقام رفيع ومرتبة دينية سامية؛ كيف لا وقد أرسى قواعد وأعراف لمسلكٍ شريفٍ موشًّى بالثوابت والعادات والتقاليد، التي صانت مذهب التوحيد، وثبّتته في دين الإسلام الحقيقي. كان الأمير السيّد وليًّا ذا مقامٍ رفيع، معترفًا به من قبل المذاهب الإسلامية في بلاد الشام على اختلافها، خاصة في المرحلة التي ولِيَ فيها إمامة جامع الشاغور في دمشق.

إنّ مسألة التقارب المذهبي في الإسلام ليست بالأمر السهل، وإنّما مسألة تحتاج مجاهدة في الدّين، ومثابرة على طريق المعرفة ومختلف العلوم الوضعية التي يعتمدها علماء الدّين وغيرهم من المفكّرين والباحثين، نصرة للإخاء والإتحاد بين أهل الأمّة الإسلامية. وعليه، كان الأمير عبد الله خير أهلٍ لهذا المسلك —التقارب

jamaleddine updated 26 june 23.indd 87 7/13/2023 11:05:47 AM

المذهبي– حيث كان يؤمن بالحقّ الّذي يعلو ولا يُعلى عليه. نادى بحفظ القرآن الكريم وهو واجب على كلّ مسلم، كذلك الالتزام بتعاليم الإسلام التي تفرض العدالة والمساواة بين الخلق دون تمييز أو تفرقة، لأيّ سبب كان، وهذا نهج مبين واضح وصريح، يساهم في بسط السلام والاستقرار، ويبعد شرّ الفتن وسلبيات الشرذمة.

في هذا البحث المقتضب، لم نقصد تكريم الأمير السيّد (ق.) وهو صاحب الكرامات أصلًا، بل كان الهدف الرئيس يتمثّل في رفع الحُجب عن شخصيّة تاريخيّة توحيديّة إسلاميّة مميّزة قلّ مثيلُها. شخصيّة تحمِلُ عقلًا جميلًا لم يوجَد له مقارع في ذاك الزّمان، وربما حتى يومنا هذا. كيف لا، وقد حفظ القرآن الكريم في شهر واحد وتولى مشيخة عقل الموحّدين في سنّ الخامسة عشرة؛ لهذا، ربما سيكون بحثًا محفّزًا للقارئ من أجل التبحّر أكثر في سيرة ومسيرة هذا الوليّ المكرّم، كما يؤكّد المؤكّد بأنّ الموحِّدين (بني معروف) والّذين يقرّون بمرتبة الأمير السيّد الدينية الرفيعة، والذين يسيرون في مسيرته، ويلتزمون تعاليمه ونهجه، أنهم أهل للإسلام وأنّهم مسلمون موحّدون، وملتزمون الحقّ في كلّ زمان ومكان، ويسعون للتقارب المذهبي أينما كانوا وحلّوا.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 88 7/13/2023 11:05:47 AM

الملاحق

jamaleddine updated 26 june 23.indd 89 7/13/2023 11:05:47 AM

الملحق رقم (١)

شجرة نسب الأمير عبد الله التنوخي

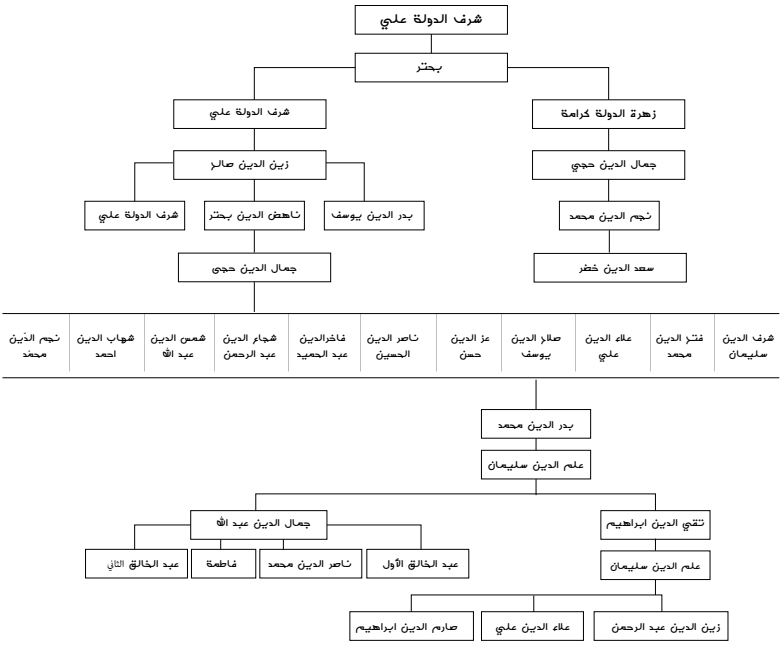

jamaleddine updated 26 june 23.indd 91 7/13/2023 11:05:47 AM

ملحق رقم (٢)

صورة المنزل الّذي ولد فيه الأمير جمال الدّين عبد الله التّنوخي (ق.)

jamaleddine updated 26 june 23.indd 92 7/13/2023 11:05:48 AM

ملحق رقم (٣)

صور مقام الأمير السيّد في بلدة عبيه

jamaleddine updated 26 june 23.indd 93 7/13/2023 11:05:48 AM

jamaleddine updated 26 june 23.indd 94 7/13/2023 11:05:48 AM

jamaleddine updated 26 june 23.indd 95 7/13/2023 11:05:48 AM

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الشّيخ الكلّيني، **كتاب الكافي**، قمّ، مطبعة الخيام، ١٩٨٣م.

٣. الشيخ أبو صالح فرحان سعيد العريضي، **مناقب الأعيان**، الجزء الأول، منشورات مدرسة الإشراق – عاليه. أسد رستم، **آراء وأبحاث**، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٧٦م.

٤. أحمد الكاتب، تطوّر الفكر السياسي الشيعي من الشّورى الى ولاية الفقيه، بيروت، دار الجديد، ١٩٩٨م.

٥. وجدي أمين الجردي، **الرسالة الموسومة بنهر الجمان في شرح غريب آيات القرآن**، أشرف على جمعه ونقله الشيخ أبو صالح فرحان العريضي والقاضي الأستاذ ربيع زهر الدّين، عاليه، منشورات جمعية الإشراق الخيريّة، د. ت.

٦. حسن أمين البعيني، **التّنوخيون المناذرة واللخميون المعنيون**، الفصول الغامضة من تاريخهم والإشكاليّات، بقعاتا الشوف، دار معن للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 97 7/13/2023 11:05:48 AM

٧. يوسف ابراهيم يزبك، **وليّ من لبنان سيرة العارف بالله**، بقعاتا الشوف، معرض الشوف الدائم للكتاب، ط ٤، ٢٠٠٤م.

٨. محمّد مالك الأشرفاني، **عمدة العارفين**، أشرف على جمعه ونقله فايز عزّام، القدس، ٢٠١١م.

٩. مجيد الفطايري، **خطاب ألقاه في دمشق بتاريخ ١٩٨٧/٦/٢٩م.**، نقله عنه المؤرخ فؤاد أبو زكي في كتابه، **الأمير السيّد عبد الله التنّوخي**، الصادر في بيروت، د.ت.، ١٩٩٧م.

١٠. محمّد أبو رمان، «**التقارب المذهبي**»، مقال على موقع الجزيرة دوت نت، ٢٠٠٨/٢/٢٠م. https://www.aljazeera.net

١١. سليمان بن نصر، **دُرّة التّاج وسلّم المعراج**، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت، ٢٠٠٥م.، وتاريخ ابن سباط، طرابلس، جروس برس، ط١، ١٩٩٣م.

١٢. سعيد الصغيَّر، **بنو معروف في التاريخ**، القريّة، سوريا، منشورات مطابع زين الدين، د. ت.

١٣. عجاج نويهض، **سيرة الأمير السيّد وآداب الشيخ الفاضل**، القدس، مطبعة العرب، ١٩٣٥م.

١٤. فؤاد أبو زكي، **السيّد الأمير جمال الدّين عبد الله التنوخي**، بقعاتا الشوف، معرض الشوف الدائم للكتاب، ٢٠٠٢م.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 98 7/13/2023 11:05:48 AM

نبذة عن الكاتب

- ألحان وليد فرحات لبناني، من مواليد نيحا الشوف ١٩٨٦\١٠\٢١. أنهى دراسته المتوسطة في مدرسة راهبات القلبين الأقدسين جزين، والمرحلة الثانوية في ثانوية بلدته نيحا الشوف.
- حائز على إجازتي بكالوريوس من كليّة التجارة في جامعة بيروت العربية بين عامي ٢٠٠٤ و ٢٠٠٩، الأولى بكالوريوس في العلوم المصرفية والمالية، والثانية بكالوريوس في إدارة الأعمال.
- حائز على إجازة ماجستير في علوم إدارة الأعمال من جامعة العلوم والتكنولوجيا في بيروت AUL عام ٢٠١١ مقدّمًا أطروحة عن تأثير الهيكلية الداخلية للمصارف في مكافحة جريمة تبييض الأموال؛ وتخرّج فيها بدرجة جيد جدًا.
- حائز على شهادة تقنية في مجال تصميم الإعلانات من معهد الـ C.I.S (فرع خلدة) عام ٢٠١٦.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 99 7/13/2023 11:05:48 AM

- حائز على بكالوريوس فلسفة من كليّة الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة اللبنانية الفرع الأول- اليونيسكو عام ٢٠١٨ متخرّجًا بدرجة جيّد.
- حائز على بكالوريوس في العلوم السياسيّة من جامعة الجنان (فرع صيدا) مقدّمًا مشروع تخرّج حول ''الفدرالية''، وقد نال المرتبة الأولى على مستوى الكليّة لعام ٢٠١٨/٢٠١٩ بتقدير جيد جدًا.
- تابع دراساته العليا ''الدكتوراه'' في جامعة الإمام الأوزاعي – بيروت، متخصّصًا في الدراسات الإسلامية.
- بدأ حياته مصرفيًا، وبعدها انتقل الى التجارة وإدارة الأعمال في مجالات مختلفة في لبنان وبلاد الاغتراب.
- كاتب وروائيّ، له ثلاثيّة روائيّة بعنوان ''حكاية طَموح''، ''بَراثن وأقدار''، ''صَرخة ضَمير''، و رواية رابعة بعنوان ''بيروتونيوم''، بالإضافة الى كتاب في السياسة حول الفدراليّة.
- ناشط سياسيّ ومؤسّس ائتلاف الشباب اللبناني.
- ترشّح للانتخابات النيابيّة في دورتي ٢٠١٣ / ٢٠١٥ المُمدّدتين. كما ترشّح في دورة ٢٠١٨ ممثلًا ائتلاف الشباب اللّبناني على لائحة القرار الحرّ في دائرة الشوف وعاليه.

jamaleddine updated 26 june 23.indd 100 7/13/2023 11:05:48 AM

الفهرس

المقدمة ٧

أ. أهميّة الموضوع وأسباب اختياره ٧

ب. مدى قابليّة الموضوع للبحث؟ ٨

ج. إشكاليّة الدراسة: ٨

د. فروض الدراسة ٩

هـ. أهدافه وأهميته. وهل هو بحث جديد أم مكرّر؟ ١٠

و. هل يساهم البحث في حلّ مشكلة مُعاشة؟ ١١

ز. المنهج البنيوي للدراسة ١٢

ح. صعوبات الدراسة ١٢

ط.خطّة البحث ١٣

ي.الشكر والتقدير ١٤

المبحث الأول

سيرة الأمير السيّد بين الهُويّة والتاريخ ١٧

أولًا: حياته ١٨

ثانيًا، أثره ومآثره ٢٣

الأمير السيّد شيخ مشايخ عصره ٢٥

jamaleddine updated 26 june 23.indd 101 7/13/2023 11:05:48 AM

الأمير الأديب ٣٠
كتاب ترياق الذنوب ودواء العيوب ٣٢
كتاب سياسة الأخيار ٣٤
كتاب تشريع زواج الموحّدين ٣٥
كتاب الدُّرر والجواهر ٣٧
كتاب مسلك المريدين ٣٨
التنُّوخي الطبيب ٤٦
كتاب سبل الخيرات ٤٦
العبادة ٤٨

المبحث الثاني

رحلة الأمير السيّد في رحاب الإسلام ٥٣
أولًا، التقارب المذهبي (ماهيّته – دوره في المجتمع) ٥٣
عامل العقيدة الخاصة بكلّ مذهب ٥٤
العوامل الاجتماعية ٥٥
العوامل السياسية ٥٧
العوامل الاقتصادية ٥٩
دور التقارب المذهبي ٦٠
خلاصة المبحث ٦٠
ثانيًا، جهود الأمير في التقارب بين المذاهب الإسلامية ٦٢
أ.تعميم التعليم ٦٣
ب.أوامره ٦٣

jamaleddine updated 26 june 23.indd 102 7/13/2023 11:05:48 AM

ج.نواهيه ٦٤
د.أحكام السيّد الأمير وعدله ٦٦
هـ.أهم القصص التي تثبت كرامات الأمير السيّد ٦٦
١.قصّة تلميذ السيّد الكبير الذي اعتدى على صاحب كَرْم ٦٦
٢.قصّة اللص الذي سلبه وعاد ليحتكم إليه ٦٨
٣.قصّة سليمان النصراني ٦٩
و.حوارات جرت مع الأمير إبّان إقامته في دمشق ٧١
١.حكايته مع العالم الفقيه ابن الكسيح ٧١
٢.ومن الروايات المتناقلة أيضًا ٧٢
٣.صبر الأمير السيد على فقد ولده عبد الخالق ٧٤
ز.جهوده في شرح آيات القرآن الكريم والحديث الشريف ٧٨
ح.خصال الأمير التي ذكرها الشيخ العنداري ٨٠
ط.من أقوال الأمير السيّد جمال الدّين ٨١
ي.من دعائه ٨٣
خلاصة المبحث ٨٥

الخاتمة ٨٧
الملاحق ٨٩
قائمة المصادر والمراجع ٩٧
نبذة عن الكاتب ٩٩

jamaleddine updated 26 june 23.indd 103 7/13/2023 11:05:49 AM